دراسات أدبية

وقفة مع الشعر والشعراء

جليلة رضا

الجزء الثاني

دراسات
أدبية

وقفة مع الشعر والشعراء

جليلة رضا

الجزء الثاني

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٩

كلمة

هذا هو الجزء الثاني من كتاب « وقفة مع الشعر والشعراء » لم استخدم فيه ـ ولا في الجزء الأول ـ الحروف الهجائية لترتيب الشعراء ٠

ولكنى استخدمت الزمن الذى أسعدنى بالحصول على ديوان كل شاعر ووقفتي أمامه ومشاركتي له الوجدان ٠

والله ولى التوفيق ؟

جليلة رضا

الدكتور أحمد هيكل في ديوانه

أصـــــداء الناى

ظاهرتان قويتان فى ديوان « أصداء النای » للشاعر الدكتور أحمد هيكل هما ٠٠. الحرية ٠٠٠ والسلام ٠

ولقد استطعت أن أستاف رائحة عطرهما النفاذ فى كل زاوية من قصيدة وكل ركن من بيت فى هذا الديوان ٠

هذا ما لفت نظرى خلال قراءته ٠

وذلك هو احساسى بعد قراءته ٠

ان الديوان يحمل فى أعماقه كنزين ثمينين : حرية ٠٠ وسلام ٠

اذن ٠ فأهم وأبرز سمات شاعرنا هو نزوعه الى الحرية بكل ما تملك من انطلاق للارادة واعتداد بالنفس .

ثم ميله الى السلام بما فيه من خير للناس واسعاد للبشر ٠ لذلك تكررت كلمة الحرية فى قصيدته الأولى ولو لم يوجهها الشاعر الى طيف الحرية لخلناه يناجى معشوقة أنثى فاتنة ساحرة ٠

يقول الشاعر :

دعى عينيك فى عينى ترتاحان فى الظل الحنون

فياكم عاشتنا بالسهد تحترقان فى نار الحنين
وياكم طافتا فى أوجه الدنيا وآلاف العيون

ولكن الشاعر يحاول أن يبعد ذكرى الماضى بما فيه من بعد وهجر لحبيبته « الحرية » ويتذكر أيامه الحاضرة وفرحته بلقياها وتنعمه بوصالها فيقول :

دعينى أنتشى من عطرك المنساب من نفح الحنان
فقد عايشت هذا العطر حتى صار روحا فى كيانى
ولما غاب عشت القهر والحرمان موءود الأمانى
وحتى الآهة الخرساء كانت من محاظير الزمان
دعينى أحتمى فى الواحة الخضراء من بعد الهجير
أغنى طائرا فى أفقك المنسوج من عطر ونور

ولقد قلت مرارا اننى أحتفى بكل مذهب شعرى ألمس فيه لمسات الأصالة والجدة .

وأثبت أكثر من مرة أن المشكلة ليست فى أسلوب التعبير كلاسيكيا كان أو حرا .

انما المشكلة فى قدرة الشاعر وطاقته الفنية وايمانه بمضمون شعره .. وديوان « أصداء الناى » من هذا النوع .

شعر يستوحى طبيعة مصر السمحة الرحبة ونيلها المنساب فى عذوبة .

شعر رقيق اللفظ ، سهل القياد ، عميق المعنى لا يعمد الى التعقيد ولا يحمل القارىء شطط الغوص وراء معنى خبىء فى طيات الغيب .

ان صاحب ديوان أصداء النای ، شاعر يدرك تماما أن الشعر جزء من كياننا الانسانی وهو فن لا تستغنی عنه الحياة وهو التراث الذی نعتز به ·

ولولا وجود بعض الهدامين له لما فقـد بعض الشعراء ثقتهم بالقيم الفنية التی دأبت الانسانية علی تركيزها فی الشعر .

ولقد اغتنم الشاعر أحمد هيـكل زمن النضج الفكری الحالی لديه ليجمع قصائد ماضيه وحاضره فی هذا الديوان· فتسنی له أن يكتب شعرا حالفه التوفيق ·

ذلك أن الشعر ليس كما يظن البعض مجرد مشاعر · فالمشاعر تأتی وحدها فی سن مبكرة وانما الأشـعار تجارب قبل كل شیء ·

وكما يقول رينيه ــ ماريا ريلك « لكی نكتب بيتا واحدا من الشعر الجيد يجب أن نكون قد شاهدنا عدة مدن وأشخاص وأشياء · يجب أن نعرف كيف تطير العصافير وكيف تتفتح وتتحرك براعم الزهور صباحا ، يجب أن نؤتی القدرة علی استيعاب التفكير فی دروب كائنة فی مناطق مجهولة ، أن نلتفت الی الوراء نحو أيـام الطفولـة وأن نجتر لقـاءات وتجولات شديدة العمق والخطورة ··· » ·

وأنا أقول لا يكفی أن نكون مدركين طريقة التفكير فی كل هذه الأمور بل يجب أن نحلم بذكريـات تعزز العاطفـة وتمضی بنا نحو عالم الكلمات المسموعة ·

ولقد تخيرت من الديوان موضوعات منوعة منها الوطنية والتأملية والناقدة للحياة وكلها قصائد جيدة الجديدة منها والقديمة ··

وأما قصائد الديوان فقد تنوعت موسيقاها وتســاوقت مع العواطف ، وتآلفت أفكارها فبدت صورهـــا قريبة من الحقيقة ، فلا هى صور خيالية رومانتيكيــة حالمــة ولا هى ضبابية تتحدى الذكاء والفطنة ، لنستمع اليه فى قصيدته « الى جميلة الجزائرية » :

آه يا أخت والفؤاد أنـــين تحت وطء الهموم وهى ثقيلة
أنا لم أعرف الترمـل واليتم وفقد الصغار زهر الطفولــه
غير أنى أحسست هذا جميعا منذ نالوك بالأذى يا جميله

ويموج غضبا فيصيح احتجاجا على سلطات الاحتلال :

أتموتين والبغـــايا ببـــــاريس
يمتعن بالحيـــاة الطويلـــــه
أيطيـــح الجـــلاد رأس مـــلاك
كى تعيش الجمـــاجم المخبولـــه
أيدوى الرصاص فى صدرك الحـــر
وتدمى فيه المعـــانى الجميلـــه

لكن الأمل مازال يراوده وقوة الله أكبر فيقول :

لا تراعى فالليل يعقبه الفجـــر
وبعد الهجير تحـلو الخميلـــــه
انظـــرى فالصـــباح يشرق فى
الأفق وجيش الظلام يخفى فلولـــه
هكـــذا تســـعد الجـــزائر بالنصر
وكـــل الرغـــائب المأمولـــه

★★★★★

صورة تزيد معانى التجربة جلاء وقوة وتعمل على توصيلها الى القارىء فى يسر وسهولة ٠

أجل ٠ ان ديوان « أصداء الناى » التزم صاحبه بوضع الكلمة فى موضعها المناسب فعبرت عن تجارب الشاعر تعبيرا صادقا ، والصدق فى الشعر من أهم عوامل درجات التفوق ٠

فكم من شاعر جيد الصياغة غير قادر على التفكير فيما يشعر به ، عديم الايمان بحقيقته ٠ ذلك هو المقلد الذى يخرج شعرا ميتا لا يهز وجدان القارىء ولا يحرك شعوره ٠

فليس الأمر أمر أبيات فى قصيدة ولا هو أمر القصيدة نفسها ٠ انما هو أمر ارتعاشة الشاعر فى اللحظة الحاسمة ، لحظة نورانية الخلق عندما يقف وجها لوجه أمام سمائه الشعرية، مبدلا حقائقه الراهنة بحقائق جوهرية، مجردا كونه من ماديته ليكون عالما ليس له قابلية التجزؤ ٠

ومصر وطننا الحبيب هى الشغل الشاغل فى ديوان الشاعر أحمد هيكل يناجيها اذا غاب عنها ويناجيها وهو فى أحضانها ويزجيها أعذب الكلمات ٠

ففى قصيدة « جنتى وأحزان الخريف » يقول :

فطاوعت أشواقى وأسرعت عائدا
كعودة طير للفضاء وللسرب
أقبل لهفان الجوانح أرضها
وأمزج فيها دمع عينى بالترب
وأحلم أن أنسى عليها مواجعى
فحسبى أن أحيا على أرضها ٠٠ حسبى

★★★★★

ويتساءل شاعرنا أى سحر فى بلده يشده اليها وهو يحيا فى أجمل بلاد العالم :

طال ياليل عن النيل غيابى
فمتى تشرق يا فجر ايابى
ها هنا حولى جنات وحور
غير أنى فى اغترابى فى هجير
انها مصر وقد شاء هواها
ان يرد النفس عن حب سواها
أى سحر فى مياه النيل يسرى
رشفة منه أفديها بعمرى

ويعترف الشاعر أن وطنه هو دنياه وفنه وفردوسه ...

هذه دنياى بل محراب فنى
وهى فردوسى الذى فيه أغنى

وهكذا نجد الديوان مليئا بعديد من أمثال هذه القصائد المشبوبة فى حب الوطن .

وحنين الوطن داء معروف يصاب به كل مغترب غير أن شاعرنا أوتى القدرة على تصوير معانيه ففن التصوير عنده واقعى حى له نبض وله روح ودرجته الفنية الممتازة .

نأتى بعد ذلك الى شعره الدينى فنتأمله بكل خشوع ، فالشعر الدينى عند الشعراء المجيدين هو أكبر دعامة لخلودهم وصفوة ابداعهم فى هذا الجانب يجب أن تكون موضع الحفاوة والانتفاع بها لخير الاسلام والبشرية .

ففى ذكرى مولد الرسول يقول الشاعر فى قصيدة (لمن النور ؟) :

ما لهذا النخيل يرقص كالصوفى
لما انتشى وذاب صفـــاء
ما لتلك الجبال أضحت قلوبا
فى ضلوع الصحراء تحيى الرجاء
ما لكل القفار صارت رياضـا
ثم أضحى هجيرها أفياء
أتراه الربيع تنسج للكون
يداه غلائلا خضراء
لا • فان الربيع يمكث حينا
ثم يمسى هواجرا أو شتاء
والربيع القدسى خلده الله
لتبقى الحياة أسمى بهاء
ليس هذا الربيع غير وليد
جعل الأرض جنة فيحـاء

ويقول أيضا فى ذكر يوم مولد الرسول العظيم :

فجران • فجر سنا ووجه وليد
قد لاح ضوؤهما بافق البيد
هى ليلة ركع الزمان أمامها
والدهر حياها بطول سجـود
هى فى الليالى الغر مثل مليكة
وبقية الليلات مثل عبيد

★★★★★

ويمر شاعرنا فى أعوامه الأولى بما يمر به الشباب ، يعذبه الشعر ويرهقه الخيال ويصاحبه القلق والوهم ويملأ عوالمه الرؤى وجوانبه الشعور المبهم ـ فتجلجل التجربة قوية محتدمة تبعثه على الانتقال الى الأحداث على جناح الصور الشعرية ٠

ويفيض قلب الشاعر أخيرا بالشعر فى قصيدة (صرخة) :

يا رب أين طريقى
وأين أين رفيقى
طرحت روحى بسجن
من الظلام الصفيق
ولم تدع لى أنيسا
سوى أساى العميق
وثورة فى دمائى
تضج عبر عروقى
وأدمع ناضبات
يزدن نار حريقى
وخافق فى ضلوعى
لهفان مثل غريق
فبات يدعو ويدعو
يارب أين طريقى ٠٠٠ ؟

★★★★★

وتمر به الأعوام والأيام ويصير شاعرنا الشاب رجلا كامل الرجولة ولكنه لا يتغير · وكيف يتغير وهو مازال كما هو ، الشاب المليء بمشاعر القلق والوحدة ، وبكل قوى الايمان والثقة بالخالق ·· يهتف في قصيدة « ضراعة » وهو يشكو لله غربته وتشرد أيامه وظلام دروبه :

الى بابك المأمول أسرعت يا ربى
تطوف به روحي ويطرقه قلبى
جفانى من صافيتهم صافى الهوى
وأعرض أصحابى وأنكرنى صحبى
وأفردت الا من مرارة غصة
وآلام سهم قد تكسر فى جنبى
وجئتك لا أخشى عواقب ذلة
فعفوك يا رحمن أكبر من ذنبى
ولكننى أشكو اغترابا ووحدة
تشرد أيامى وتظلم لى دربى
فهب لى سلام الروح وارحم مواجعى
فليس أمامى غير بابك يا ربى ··· !

★★★★★

والآن وبعد أن عشنا مع الشاعر الدكتور أحمد هيكل فى ثوراته النفسية نأتى الى شعر الغزل فى ديوانه « أصداء الناى» فنبحث بصعوبة عسانا نجد بعضا منه ·

ولكن الشعر العاطفى عند شاعرنا قليل ونادر ، لست أدرى لماذا ؟

وهو الذى أجاد اجادة مذهلة فى قصيدته « أندلسية »

فاستعمل فيها الكلمة بكل ما تملك وتحمل من قـــوة تعبير وصورها تصويرا رائعا حتى خرجت لنا فى ثياب من السحر الفاتن ·

وهى تستأهل أن نختتم بها هذه الوقفة الشعرية حتى تظل في سمع القارىء بكلماتها الرنانة كعصفور مغرد يلتقط حبات غذائه :

هيفاء : كالغصن الرطيب تبسمت فيه الزهور
بيضاء : مثل الياسمين يضىء فى الروض النضير
وندية : كالطل يمسح جبهة الصبح المنير
وشذية : كالورد يسطع بالجمال وبالعبير
وشجية : مثل التناجى الحلو أو شدو الطيور
ورقيقة : مثل النسيم اذا تعطر فى البكور
ورشيقة : مثل الفراش يخال أزهارا تطير
وعميقة كالنبع دفاقا من الصافى النمير
ووديعة : مثل الحمام مرفرفا حول الغدير
ورفيعة : كالشمس تخطو فوق هامات البدور
وبريئة : مثل السنا فى نظرة الطفل الغرير
ووضيئة : مثل الهوى يصحو بومضته الضمير
وحبيبة : كالعذب لاح لظامىء بين الصخور
وخصيبة : كالحب تورق من بشاشته الصدور
هى واحة القلب الذى صهرته نيران الهجير
هى معبد الروح السنى وكعبة الحب الطهور

★★★★★

وليت شعرى ماسر هذه الأندلسية الفـــاتنة التى هزت وجدان شاعرنا حتى فاضت مشاعره بكل هذا الشعر العبقرى الرائع ٠٠ ؟

والحق أقول نادرا ما يقرأ المرء قصيدة اكتملت فيها كل معالم الجمال مثل قصيدة « أندلسية » ٠

أيها القارىء الكريم ٠

أظنني بينت لك من شعر الديوان ما يكفى لمعرفة سمات صاحبه وهو غنى عن التعريف ٠

وان الشعر العربى فى اتجاهه الى كـــل ما هـــــو واقعى ومنطلق ليتجسد فى ديوان « أصداء الناى » لصاحبه الدكتور أحمد هيكل من حيث هو ثروة فنية كاملة وثورة شعريــة فى اللغة والموسيقى والأداء والأسلوب ٠

للشاعر العوضى الوكيل فى ديوانه
قراشات ونوار

منذ أعوام قليلة فقدت مصر شاعرا كبيرا عاش وديعـا هادئا ورحل عنا كما عاش فى هدوء وصمت ٠

وليت مصر التى أحبها بكل نبضة فى عروقه تذكرت أن تفيه حقه بعد وفاته وهى التى تستطيع حتى اليوم أن تفخر به وتعتز ٠

وهو الشاعر الذى لولا زهده فى الشهرة وبعده عن الملق والجرى لتألق كوكبا فى سماء الشعر ، فهو شاعر متمكن من فنه ، متفرد فى أسلوبه ٠

وهو ان بدا لنا تقليدى النزعة فسرعان ما تعلن شخصيته استقلالها فتتجلى الطلاقة لا في مناحيه وحدها بل في ديباجته ٠

انه شاعر نشأ على حب البساطة الفنية التى هى صفـة فطرية فى كل فنان موهوب ٠

وقد انتظم شعره النزعات الوطنيـة الحـرة كما انتظم الكثير من أوصاف الطبيعة والاستغراق الذهنى فى مشاهدها والتبتل الصوفى فى محرابها ٠ ان شعر العوضى الوكيل ترجمة صادقة لحياته لا أثر فيها للتكلف بل هو انفعالات نفسية لما

يواجهه من أحداث الزمن خيرها وشرها ولا بد أنه قرأ كثيرا واتخذ من ينابيع الوحى الطريق الى المعرفة لذلك نجد له بعض النزعات الفلسفية العميقة وان كانت قليلة ٠

ولقد نرى أحيانا فى خيالاته الشعرية وأسلوبه ووحدة القصيدة ما يمثل عقلا نفذ الى أعماق الكون وسبر غوره ٠

وأجمل ما فى شعر العوضى الوكيل هو ذلك الحب الجارف وتلك العاطفة الجياشة التى يكنها للطبيعة بكل ما تحــــوى الطبيعة من طير وزرع وماء وضياء ٠٠

وهو حين يصفها تحسه وكأنه يعب عبا من منهل جمالها الصارخ فكل نبضة عرق فيه تهتز شعرا وكل خلجة قلب تموج حبالها ووفاء ٠٠

وانى أحيانا لأقف مبهورة أمام احدى القصائد التأمليــة التى يصب فيها الشاعر أجمل أبياته ولنستمع اليه فى قصيدة « آخر خمس دقائق » حيث ندرك مقدار هذا الحب وما هى أمانيه المرجوه عندما يحين الأجل ٠ يقول الشاعر :

اذا جاء « عزريل » لقلت له اتئد
بربك امهلنى لخمس دقــــائق
سأشهد فيها الشمس فى جلوة الضحى
وأشهد فيها الروض نضر الشقائق
وأبعث للنجم الذى غاب قبلة
فمن خافق تسرى الى ثغر خافق
واستنشق الأنسام زادا لرحلتى
ويا حسن أزواد النسيم لناشق
وأشهد رسما خطه كف واجــد

وأسمع لحنا صاغه قلب عاشق
فان تبق من خمس الدقائق فسحة
لثمت نبات الأرض فى بعض ما بقى
وقلت « لعزريل » تقدم فلم تعد
بنا حاجة يوما لهـذى الخـلائق
ولست أرى فى الموت ما يفزع الفتى
سوى أنه يأتى فجاءة ما حـق

★★★★★

ومن الغريب أنه رغم ما أصاب الشاعر من مرض خطير ظل ملازما لهفترة ليست بالقصيرة قبل رحيله الا انـه كان يحب الحياة بكل ما فيها من خيـر وكانت دنياه الحبيبة هى الأبناء والزوج والطبيعة المرحة وما أكثر ما عبر عن وفائهم فى ديوانه هذا (فراشات ونوار) ولنستمع اليه فى قصيدة « لن أشيخ » وفيها يتحدى الزمن والمرض ويتنـكر لكـل ما يؤدى الى الشيخوخة . يقول الشاعر :

لم يدعنى الشـباب ان شـبابى
لم يزل ملء مهجتى واهـابى
يستجيش الجـمال قلبى فيخضل
شعورى بوحيه الوهـاب
واذا ما سـألته مـدد الشـعر
ووحى القصـيد كان جـوابى
ان عمـرا قضـيته بين روض
من أمانى عذبة ورغـاب
لخليـق ألا يضـاف الى السـن
اذا السـن عولجت بحسـاب

ويصيح الشاعر فى دهشة واستنكار وتساؤل :

اكتهال ٠٠ ؟ والروح ذات وميض
اكتهال ٠٠ ؟ والقلب ليس بخاب

أجل كيف يشيخ شاعرنا الرقيق وهو ما زال يرى الدنيا كغادة حسناء ويرى الربيع أخضر الجلباب ويستبيه الضحى ويأسره الضياء ٠ وفوق ذلك كله يمنحه الحبيب أقصى ما يرجو حبيب من حبيبه ٠ كيف يشيخ وهو القائل :

ما تمنيت من حياتى الا
راحت الأمنيات تطرق بابى

ولماذا يشيخ والصبح والنجم والفجر كلها أحبابه تشمله بعطائها ٠

★★★★★

فلماذا أشيخ والصبح يحبونى
بفيء من ظله المستطاب

ولماذا أشيخ والفجر فى عينى
ضياء ينساب فى أعصابى

ولماذا أشيخ والنجم يرنو
لى فى رقة وفى اعجاب

والعصافير لاتزال كما كانت
بأغصانها فوق الروابى

أترانى اكتهلت منذ آذن الليل
الذى فى سوالفى بذهاب

أترانى اكتهلت لما ألمت
بضواحى الخمسين سعيا ركابى

لا وربى مـــا شـــاغ قلبى وان
شـــاخت على طيلة السنين ثيابى

وهكذا برز فى الشــعر المقفى كثير من الموهـــوبين أمثال العوضى الوكيل فان هذا الشعر استطاع أن يعبر عن التجارب فى ابداع واتقان . وبمثل هذه الطلاقة الشعرية التعبيريـــة استطاع شاعرنا أن يكتب قصائد خرجت لنا لطيفة النغم طريفة الحدث مفصلة تفصيلا دقيقا .

واذا انتقلنا بعد ذلك الى بقية القصائد قابلتنا فى الديوان قصيدة رائعة تصور تعلق الشاعر أيضا بالطبيعة ومن هذا التعلق المشبوب ندرك مدى حبه للجمال وهـــو يرسم أمامنـــا صورا قد انفعل بها ونحس أثر التفانى فى تأملها ونلمح مدى عشقه للربيع ومشاهده وهو يصف سحره وروعته فى ادراك يقظ ، شاعر عشق الحب النبيل والحسن المقدس حيث يصف لنا قلبه فى هذه الأبيات الرقيقة حيث يقـــول فى قصـــيدة « منجم » :

قلبى هذا منجـم عـــامر — وما به من فضـــة أو ذهب
ليس به غير بقايا هـــــوى — الى السماوات العلا ينتسب
وغير ايمـــــان بأن الدنى — جميلة ذات شـــباب قشب
وغير شعر ام أطق نظمـــــه — فهو على حافاته مضطرب
أصون فى أطوائه من غـــدى — بعض الأمانى الحسان العجب

★★★★★

ومن هنا نعرف الشاعر وندرك حقيقـــة أسراره فهو الى السماوات العلا ينتسب وهو مؤمن عميق الايمـــــان هداية السماء نبراسه وأسرار الكون تفكيره وفلسفته .

ولقد تنوعت تجارب الشاعر وتنوعت معها أحداث الزمن فى قصائده « لون العيش » ، « نــداء الباعـــة » ، « وحى لقاء » ، « مهاجر يعود » وغيرها ٠

ولكن اذا استعرضنا الديوان ككل نجد أكثر القصائد فى الطبيعة كما سبق أن ذكرت حيث اكتمل فيها بالذات الأداء الفنى وظهرت قدرة الشاعر على مواءمة الصياغة الشعرية لموضوع القصيدة فان العبرة بموهبـة الشـــاعر ودرايته بالعناصر الفنية للعمــل الأدبى ٠ مثال ذلـــك قصــــيدة « الفراشة » ٠ « عمـــر الوردة » ٠ « الذخـــر المباح » ٠ « الطبيعة فى الصحراء » وغيرها ٠

وها هو قلمى يتوقف حائرا أمام أحلى وأعذب قصيدة، وقد استوقفتنى قصيدة « أقنعتنى عيناك » وهى من شعــر الغزل وكم من قصائد غزل فى ديوان « فراشـات ونوار » يقول الشاعر :

★★★★★

أقنعتنى عينـــاك ان جمـــال
الكــون معنى مركز فى العيـــون

مبرئـــات ما يخـــرج الزمن القــاسى
بلمح لــدى الرضـــاء حنـــون

قائـــلات وما نطقـــن حـــديثا
صاخبـــات وهـــن ذات ســـكون

موحيـــــات بكـــل معنى عصى
كنت لا أستطيعـــه وهـــــو دونى

مرجعـــات الى الحيـــاة شبابـــا
قــد تـــولى وراح بين الســـنين

وهذه قصيدة أخرى من شعره الرامى الى اسعاد البشر ، اذ يجب أن يكون للشعر عمل ايجابى ونزعة هادفة فى المجتمع وأن يتابع الأحداث والأفكار ويؤثر فيها ويدفع بها الى البناء والتجديد النفسى ٠

يقول الشاعر فى قصيدة « الذخر المباح » وهى قصيدة ترنم بها الشاعر نفسه واعتز بها :

لست أدرى ماذا يرى البائسونا
فى حياة تبدى الجمال فنونا

كلما عز مأمل لاح منها
مأمل آخر يقر العيونا

لا تمر السنون الا بمن يملأ
بالحزن والشقاء السنينا

ليس حزن فى ساحها بقليل
فدع الناس فيه يقتسمونا

هو كاف لمن أتى وسيأتى
وهو كاف لألف جيل يلينا

هو سر من خالق الأرض فى
الأرض وذخر يباح للآملينا

وهو ذخر يزيد ان أخذ الناس
ويفنى ان أهمل الآخذونا

وغبى صنفان فى الناس : من
يرجو منونا ومن يخاف منونا

★★★★★

ويمتاز ديوان « فراشات ونوار » للشاعر الكبير العوضى الوكيل بمعانيه المبتكرة وخياله البعيد وعنايته بالجو الفنى للألفاظ كما انه يتسم بتركيز الأسلوب وبالوحدة الغنية الموسيقية ·

ويتميز أيضا بما يبثه الشاعر في نفس كل قارىء لشعره من ومضة نور وشعاع أمل · وتلك رسالة الشعر فى حب الخير وتقديس الجمال ويقول الشاعر فى قصيدة « كرم الحياة » :

البدر لم يبخل بآية حسنه
والشمس لم تبخل بسحر سناها

والزهر لم يبخل بفضل عبيره
وسل الخميلة صبحها ومساها

والطير حتى لو تكون حبيسة
تزجى الى حسن الحياة غناها

لم تبخل الدنيا عليك فكن بما
منحت لسانا يستزيد بهاها

واكرم كما كرمت وكن فى ساحها
أولى البنين بحسنها وحلاها

★★★★★

وقد حفل الديوان بشعر المناسبات فوجه الشاعر أبياتا جميلة رقيقة الى أصدقائه ولكنه اختص العقاد بأحلى ما يملك من شعر جيد قاله الشاعر فى حياة العقاد وبعد وفاته وأرى المجال لا يسمح الا بذكر القليل من الأبيات فى قصيدة « على قبر العقاد » :

على ربــــوة من روابى الجبـــل
نزلت فـأى خـــــلود نـــزل

تشير لى الشـــمس عند الصبـــاح
وتغمزها فى الضحى بالقبـــــل

وترسل اكليـل ضـــوء عليـــك
رقيق النسيم ، ندى ، خضــــل

وكنت واوعـــــا بهـــا معجبـــا
وهـــا أنت ذا ولـــع لم تـزل

وللنجـــم همس اليك طويــــل
فما ينثنى هامســـــا لا يمـــل

ولست غريبـــا بتلـــك الــربى
ولا عشت منهـــا بعيـــد المحـــل

لقـــد أخذت منك عهـــد الشبـــاب
وما عــدت الألف فى المكتهـــل

وللنيــــل مـــن قربهــــا لفتة
اليك كلفتة خــــل لخـــل

تحــــولتما هـــو عن منزل
قديم وأنت بفعل الأجـــل

وقد حسبوك ســـكنت الرجــــام
فهزوا عليـــك رؤوس الأســـل

ولـــكنما الســـيف بين القـراب
هو السيف ان صــــال أو لم يصـــل

★★★★★

وعلى ذكر العقاد ففى الديوان كلمة من الراحل الكبير عباس العقاد الى الشاعر العوضى الوكيـــل كمقدمة لديوان العوضى « رسوم وشخصيات » وقد أصـــدره منذ ربع قرن تقريبا وقام فيه بعرض رأيه فى شعر شعراء وشواعر ذلك العصر .

وقد رأى العــوضى الوكيــل أن يعيد نشر المقدمة فى ديوانه « فراشات ونوار » تكريما لاستاذه العظيم وزهوا به حيث يقول العقاد من بعض ما يقول :

« وانى لأهنئك على قدرة فى الشعر الرصين لم يرزقها الكثيرون ثائرين منطلقين من القيود والموازين فان ضرورات النظم لم تنحرف بك قط ، وانها لآية من آيات النهضة المرجوة أن تعرض لنا فى كل صفحة من صفحات شعرك الناقد صورة تدل على صاحبها ولا تدل على أحد سواه .

انها مقدرة ليست بالجديدة فى الشعر منك وانما الجديد فيها موضوع لم تسبق اليه فى تاريخ الشعر العربى ولا فى تاريخ النقد الفنى على جملته فاذا أزجيت التهنئة بهـــذا الديوان مبتدئـا فانمـا أبـــدأ بتهنئة المعجبين بتوفيقـك وارتقائك فى مراتب الابداع والاحسان » .

وبعد أكتفى بهذا القدر من التعريف بديوان « فراشات ونوار » للشاعر الكبير العوضى الوكيل وأعتقد أننى بينت أصالة شعره الذى سيكتب له البقاء والخلود على مر الأزمان .

للشاعر فتحي سعيد في ديوانه

بعض هــذا العقيق

« جواز سفرى : العالم

الغـــربة : مسكنى

العنوان : عاصمة الأحزان

رقم البنيان : ميدان النسيان

الاســـم : مسافر

المهنة : شاعر

الريح : جــــواد

البحر : مـــداد

مجهول السن : من كثرة ما ترك الزمن من البصمات يبدو فى سن الأهرامات ٠

يتألم لكن لا يتكلم : وجهته شطان ٠٠

تحو المبهم ٠٠٠ نحو المبهم »

★★★★★

هذا هو شاعرنا الكبير فتحي سعيد يتكلم عن نفسه في صدق وصراحة ، وجزاه الله خيرا • لقد كفاني حيرة وصفه •

وعندما أسعدني الحظ وهممت أن أقرأ ديوان (بعض هذا العقيق) لمست في الديوان عنوانه العذب اللفظ ثم أوغلت في صفحاته فوجدتني أهمس هذا شعر جيد وهذه أفكار فنان موهوب • والحق أقول ان الشاعر فتحي سعيد أحد الذين يتزعمون المدرسة المتحررة الابتداعية ـ وله قصائد في غاية الجودة والأصالة وديوانه هذا يحتوى على الكثير منها •

واني اذا أبدأ بعرض الديوان أقتطف من كل حوض زهرة دون أن أتقيد بموضوع القصيدة •

وقد عرف شاعرنا كيف يسمو بشعره حيث أضفى عليه لمسات ذكاء وخيال فخرجت الأبيات مغلفة بتركيبات مبتكرة يتطلع اليها القارىء برهة قبل أن يستوعبها ثم يكمل رحلة القراءة في اعجاب وتقدير •

وما دام القارىء قد تفهم مضمون القصيدة فقد وفق صاحبها في توصيل تجربته اليه وهذا أول طريق للنجاح في الشعر •

مثال ذلك في قصيدة « الليلة ماذا ؟ » فيقول :

الليلة ماذا ؟ الليلة نقتات بطعم تذكارى
نقبض بالنظر الى ايقاع الأفكار
نوقعها بحبائل رؤيا عشوائية
الليلة ماذا ؟ الليلة قلبى هاجر
يقرع أجراسا كاتدرائية

ينقض على مملكة الكلمات الميتة الحبلى
بعجائب دنيانا السفلى
نغمد نصل المتناهى فى قلب الأخطار السريه
ونشد بها قوس الأشعار المطوية

★★★★★

وهكذا فالشعر الجيد لا يقف عند حدود التعبير الواقعى بل يتخطاه مستحضرا ما هو فوق الطبيعة ٠

وكثيرا ما ينبثق الشعر الجيد من ذلك المزيج العجيب الذى يحدثه اقران الذكاء بالخيال ٠

ولكن ذلك لا يمنع من وجود الموسيقى العذبة فى شعر صاحب الديوان ولا من الانفعالات المصاحبة للتجربة ٠ فلكى تؤدى الصورة مقاطع دورها لا بد أن تساير الانفعال وجوه ٠

وفتحى سعيد متأثر بشعر شارل بودلير شاعر فرنسا الموهوب فيهتف موجها اليه قصيدته :

يا شاعرى الرجيم ، يا طفلى اليتيم ٠٠ يا صاحبى العظيم
والجرح ٠٠ والسكين ٠٠ والجلاد ٠٠ أنت
والغريم ٠٠ أرجوحة الشذى وليلك السقيم
مباخر السموم ٠٠ بواخر الكروم

★★★★★

وهكذا يميل شاعرنا الى الشاعر الفرنسى رغم ما فى حياة بودلير من أحداث جسام ولكن شاعرنا فنان ينظر الى الجوهر ويعطف على أخيه الفنان البائس وينظر الى فنه بعين الاجلال والانبهار ٠

وفي الحق ان بودلير كان عظيما في شعره كتب عنه (جاك مارتيان) يقول :

« ان الدور الرئيسى الذى لعبه بودلير ورامبو هو كونهما آدخلا على الشعر الطريقة المثلى المؤدية الى الروح ، انهما أدارا ظهريهما للشعر الحالم الرومانتيكى الذى يعج بالأناقة اللفظية ويخب فى ثوبه الفضفاض، واندمجا على عكس ذلك فى الابهام لأنهما شعرا أن عليهما أن يستقبلا الوجود بهذه الوسيلة حتى يتسنى لهما حل ألغازها » ٠

وأقول أجل لقد أغنى بودلير ورامبو الشعر بتصوراتهما الجديدة واحتلا أفاقا لم تكن قد اكتشفت بعد وأدخلا فى الشعر نوعا من الحزن أمام لغز الحياة ٠

ويمضى الشاعر فتحى سعيد فى قصيدته « الأفعى » وهى تعبير عن القصيدة ذاتها بالأفعى وأرى انها تدعو الى القراءة أو الاستماع بما فيها من طرافة وحبكة فنية ويصف لنا الشاعر كيف فتح الباب ذات مساء شديد البرودة :

اشتد عواء الريح فاصطك صرير الباب
انفرج فقلت انجاب
الله الغائب آب ٠٠ فأطلت رأس الأفعى
جاءت تسعى ٠٠٠ دارت بالغرفة طافت بالأركان
فحت ألسنة النيران
وثبت أعانقها ٠٠٠ أفسحت مكان
زحفت ٠٠ رقصت واعتصرت من دمها قارورة عطر
ولبست لها جلد الثعبان ٠٠
قدمت لها أخرى ٠٠ ثملت ، خرجت تترنح سكرى
وتلوت فى الأحشاء ٠٠٠ قصيدة شعر ٠

★★★★★

ونأتى بعد ذلك الى شعره الوطنى وان كان قليـــلا فى الديوان الا أنه على أية حال واجه جميع أحداث الوطن فى تحد وعنف ٠

ففى قصيدة « كل شىء » وأنا أسميها القصيدة الســوداء فان كل شىء على وجه الأرض يخيل الينا عند قراءتها انه قد مات حتى شبح الموت نفسه وذلك عقب أحزان يونيو فى عام النكسة حيث يقول :

كل شىء جف مات ٠٠٠ الهوى والأغنيات
فرحة الأطفال ٠٠٠ أحلام البنات
نشوة الآباء ٠٠٠ زهو الأمهات
الفراشات وزهر الربوات
الق الحقل وأعواد النبات
الندى والهمس ووقع الخطوات
باحة الدار وصيف الأمسيات
كل من فيها موات فى موات

تصوير محزن مؤلم تشدنا اليه قسوة المعـــاناة الشعرية والعذوبة المنطوية تحت عبء الكلمات الحزينة ووزن البحــر الجنائزى وموسيقاه الشجية وهذه الألفاظ : فرحة ٠٠ أحلام، نشوة ، زهو ، الناى والهمس وأعواد النبات وكلها كلمات تبكى مع القصيدة أما بقية القصيدة فهى لا تقل جمالا وروعة عما سردت من أبيات ٠

واليوم وقد ساد الشعر الهادف وازداد انتاجه وبرز المشهد السياسى والقومى والاجتماعى تحت الأضواء ٠

فقد واجه الشعراء مشكلات الأرض وما عليها بعد أن كانوا محلقين فى السماء ٠

وهكذا يعرض لنا فتحى سعيد مواضيعه اليومية بكل ما تعج من مظاهر وأحداث ، يعرضها فى لغة سهلة واضحة أحيانا وحينا يكتنفها غموض سائد ولكنه ملىء بالطرق الايحائية للتعبير عن ذاتيته وترجمة أسراره ٠

وفي رأيي مهما كان الشعر غامضا فبقليل من التأمل يصل الى نفس تفهم الشعر الواضح ٠

ذلك أن الغموض شبهه بعضهم بالهبوط اللولبى للفراش نحو الزهرة حيث يبدو عليه التردد فى كل نقطة من نقاط طيرانه فى حين أننا نرى فى النهاية عندما يلمس الفراش الزهرة أنه كان متجها نحوها منذ بدء طيرانه ٠

فهناك اذن موازنة رائعة تقوم بين عقل وحس فتحى سعيد، تلك الموازنة التى تشهد على توحد العالم الخارجي والداخلى لديه تارة وبينه وبين الحقائق المنطوية فى أعماق نفسه تارة أخرى ٠

وييأس الشاعر من وفاء الأصدقاء ومن اخلاصهم وتعاونهم فيشكو كما يشتكى كل انسان من أخيه الانسان ولكنه شاعر فحزنه أشد وخيبة ظنه أقوى وليس له من وسيلة للشكوى غير الشعر يتلوه على مسمع من أحد الأصدقاء فيصم أذنيه ويتثاءب :

★★★★★

شكوت مرة لصاحبى فضاق بى
وقلت دعه للمساء ربما اذا شرب
امتد لينا وطاب ٠٠ يحلو له الاصغاء
يشتهى السماء
وأقبل المساء ٠ ودب فى عروقنا الخطر

وعندما شرعت فى تلاوة القصيدة
تثاءب الضجر . ومد كفه يعابث المذياع
ومد عينه يقلب السطور فى الجريدة

★★★★★

ويتلو الشاعر شكواه على القريبة ولكنها :

مالت .. علا غطيطها .. سحبت فوقها الغطاء
نامت .. وفى الصباح أقبل الاثنان ..
وألصقا بى تهمة الكتمان .

★★★★★

وفى قصيدة « حادث يومى » تتجسد القصيدة بكل ما فيها من معان فى حقيقة الحادث حيث يتقابل الغرباء فى مكـان ما يتجه القدر فيتبادلون الحكايات وأنباء الزوجات والأبناء ويحلو السهر حتى اذا انفض السامر مضى كل فى سبيل وكأن شيئا لم يكن :

وتبادلنا القبلات ... وتبادلنا الأحضان
وكتبنا فى الورقات . الهاتف والعنوان
ثرثرنا كالعادة حول قضايا الانسان
وبكينا الأطلال ومسحنا بالأركان
وتذاكرنا ضجر الزوجات
وبعض شقاوات الأبناء
ونفثنا حلقات الدخان
فى نهم .. وقصصنا أجنحة الأشياء

★★★★★

وابتلعتنا الطرقات ، وانحدر كلانا تتعثر عيناه
خلف العدسات . في أول منعطف صادفناه
مزقنا الورقات

قصيدة صريحة صراحة الشاعر لا نفاق فيها ولا ميوعة عاطفية هى حادث يومى يتواجد فى كل مكان ولكن الأمر هنا يتعلق بشاعر مرهف وعين لماحة ورغبة فى أعماقه تصيح « لو كانت الحياة غير ذلك » .

وقبل أن أترك الديوان استعرض مع القارىء بعض أبيات من قصيدة « كان ليلا » وهى عن شهيد كربلاء يقول الشاعر فى حزن :

كان ليلا مترع الشجو يتيم الأنبياء
خضب الدم حناياه ففر الندماء
تحت جنح من سواده
فذراع فى الهواء
وذراع تنزع النجمة من صدر السماء
وذراع تدفع الريح وتجرى فوق ماء
كشراع ....
وذراع فى نجيع الشهداء
وذراع فى ذراع فى ذراع
تتدلى فى العراء
فتردى عن جواده
مستطار اللب مسلوب النداء
واستفاقت كربلاء
بعض اشلاء وأنهار دماء
ذات ليل موجع الشجو يتيم الأنبياء

★★★★★

وأظنني بعد هذا قد تناولت الكفاية من قصائد الشاعر فتحي سعيد ووضعت أمام القارىء صورة واضحـــة جليــة لا يعوزها الشرح يستطيع من خــلالها أن يدرك اتجـاهات الشاعر الفنية ٠

وبعد ان الشاعر الرقيق فتحي سعيد شخصية أدبية مستقلة في التفكير والتعبير ذو ثقافة واسعة استمدها من قراءاتــه واطلاعه وديوانه (بعض هذا العقيق) يمثل عقلا نفذ الى أعماق الوجود والحياة ٠

دكتور كيلاني حسن سند في ديوانه

في انتظار المطر

هذا الشاعر فقدناه قبل الأوان وهو فى قمة نضجه الفكرى (٥٤ عاما) وعزاؤنا اليوم ما قدمه قبل وفاته من مؤلفات عديدة من شعر ونثر أثرى بها المكتبة العربية وأضاف اليها نتاجا طيبا قيما بما حفل من دراسات أدبية وتجارب شعرية وآخرها « حازم القرطاجى » وهو تلخيص لرسالة الدكتوراه التى قدمها الشاعر وحصل بها على مرتبة الشرف الأولى عام ١٩٥٧ ميلادية ٠

أما الشعر فكان آخر دواوينه هو « فى انتظار المطر » الذى نحن بصدد التكلم عنه وقد أصدر قبله « قصائد فى القنال » و « العاصفة » و « قبل أن يسقط المطر » ٠

وأول ما يلفت نظر القارىء لديوان « فى انتظار المطر » للشاعر كيلانى حسن سندهى تلك النغمة الحزينة التى تشمل الديوان وهذا التمرد المتوغل فى أعماق سطوره ٠

ولست أدرى أتلك هى أحاسيس شاعر ؟ بل وشاعر رقيق الحس مرهف الوجدان ؟ أم هو أثر تعرضه لضغوط هائلة فى حياته الشخصية حيث خطبت له أمه عروسا تزوجها والده عقب وفاة أمه ٠

وكان أبوه موسرا فبدأ ينصرف عنه الى حياته الجديدة وكان كيلانى وحيده المدلل فأصبح واحدا من ذكور أربعة ٠

وطالب الشاعر بحقه في الميراث بعد وفاة والده وانحاز له البعض والبعض الآخر الى زوجة أبيه فنشبت معارك مثيرة قتل فيها العديد من الرجال وأمسى مطاردا ولكنه حصل على حقه في الميراث ٠

وقدر لشاعرنا الحزين أن يلتقى بشاعرة فى أحد المحافل الأدبية وكان زواج ثم انفصال ٠

ولقد توفى الشاعر فجأة وهو وحيد فى مسكنه يتلو القرآن الكريم واكتشف الوفاة أحد الأصدقاء ٠

فأسرعت زوجته السابقة وكانت قد انجبت منه ولدا وقام أهلها بعمل ما يلزم لدفنه فى قريته ونفذوا وصاياه وعلى رأسها اهداء مكتبته الكبيرة الى كلية التربية بالفيوم ومنها تخرج ٠

والآن وقد ألم القارىء بالتجارب التى مر بها الشاعر الراحل وعاناها ٠ فى اعتقادى أن ذلك سيزيده فهما لأشعاره وكشفا عن جوهرها ٠

وقبل أن تتصفح ديوان « فى انتظار المطر » آخر ديوان للشاعر كيلانى حسن سند ٠

لنتمعن جيدا فى معنى كلمة العنوان ذاته ففيه ما يدل على مشاعر صاحبه واحساسه بحياة مجدبة كالصحراء مقفرة ٠

وأرى أنه كان يستشف من حياته بعض الأمل فى المستقبل حيث ينزل المطر فيعم الرخاء وتخضر الأرض وبالتالى تفىء الروح وتنتعش النفس ٠

أجل . لقد كان الشاعر على ثقة بانهمار المطر فأصدر ديوانه الثالث وقبل الأخير « قبل أن يسقط المطر » .

ولكن ... مر الزمن ولم يشعر بالسعادة المرجوة ولا أحس براحة النفس أى أن السماء لم تمطر .

وفى تحد للقدر جلس كيلانى حسن سند الشاعر البائس والحزين تحت القبة الزرقاء يتأمل السماء ويغنى ديوانه هذا الأخير « فى انتظار المطر » .

ترى .. هل أمطرت له السماء أخيرا وهل سقط المطر قبل أن يودع شاعرنا هذه الأرض .. ؟ لا أظن ..

وقصائد ديوان « فى انتظار المطر» ليست مرتبة التقسيم وان كانت منوعة فهى شعر حر ذو قافية متباينة وتفاعيل غير محددة تطول أحيانا أو تقصر ويميل معظمها الى بحر واحد يسهل عملية النظم عند الشاعر .

وان كانت هناك عدة قصائد من الشعر التقليدى تمتاز بموسيقى هادئة وقيمة فنية كبيرة .

وكل شعر الديوان يلفه صدق خالص وعمق فنى وحركة مسايرة للانفعال مثال ذلك فى شعره العاطفى من قصيدة « عصفور الحب » وتتميز هذه القصيدة بالوحدة المتماسكة والايقاعات المتوائمة .

وفى اعتقادى ان الشاعر يعنى بالعصفور قلبه المتعطش دائما الى العاطفة وهو هنا يحذره من العودة الى الحب بما فيه من آمال وآلام حين يهل الربيع وتتفتح الأزهار ولكن الطائر الماكر يجيبه أخيرا فى تحد وسخرية :

فى ذات مساء شتوى أمسكت به قرب الدار

قد كان وديعا وأليفا لكن كذابا ثرثار

مد جناحيه •• استرحمنى •• ذكرنى
أقسم بالماء الجارى كالفضة فى الأنهار
أقسم بالورد الأحمر حين يرى خديك يغار
أقسم لن يرجع بعد اليوم فقلت له يا مكار
ستعود اذا خلع الورد القمصان وفك عن العطر الأزرار
ستعود مع الأطيار ، مع النسمة •••
حين توشوش آذان الأزهار
حين يعود الناس اثنين •• اثنين وكل حديثهما أشعار
لكنى سأقص الريش •• أعريك
وألقيك أمام الريح وتحت الأمطار
فتبسم منطلقا يتحدى
سأعود ولو تلقينى فى النار •••• !

الحق انه شعر متوهج بالعبارة المضيئة والصورة الحية ولنستمع الى أبيات من قصيدته الطريفة « دعوة » حيث يقول لحبيبته فى غضب ماكر :

سأدعو عليك •• يحج الفراش الى وجنتيك
سأدعو عليك •• يهب النسيم الشقى ، يبعثر شعرك
عن كتفيك •••
ويسدل ثوبك حينا وحينا يطير به من على ركبتيك
سأدعو عليك اذا العيد جاء ولم تأتنى
بأن تمرحى فى ربيع الشباب وقلبى يمرح بين يديك ••

★★★★★

وهذه قصيدة « مرثية حب » وهو يتذكر حبا كان ومضى

لكنه ما زال يذكر جمال الحبيبة فيصفها وصف ناسك يتعبد في محراب الجمال :

لم يعد يبصر ما كان وكان
وجهها الأبيض كوبا من حليب لم تلامسه يدان
شعرها الأصفر أوتار كمان
صوتها الهامس بالحب غناء الكروان
وبعينيها مظلات أمان
كرمة مثمرة في كل آن
كان اذ يسمع « سوزان » من البعد « سزان »
ترقص الفرحة في عينيه ويخضر المكان
يشرب الصوت يناغيه بشوق وحنان
ويراها زهرة تخضر في كل أوان
فيغني للدجى ،للفجر، للشمس التى تنسج ثوب الأرجوان
ولعشاق الزمان

★★★★★

وهكذا نجد أن شعر دكتور كيلاني حسن سند يجمع بين العنصر الجمالي والقيمي . الجمال في ابداعه الفني والقيمة في عمق مضمونه .

والشعر كما نعلم بناء وأدواته لفظ وصورة وقيمته فيما يتحلى به اللفظ من ايحاء وتأثير وما تتسم به الصورة من صلة بالتجربة وهذا هو الموجود في ديوان « في انتظار المطر » .

واذا استعرضنا قصائد الديوان وجدنا أغلبها من الشعر العاطفي وقليلا من الشعر الوطني وبعض شعر المناسبات .

وأما الشعر الوطني فيميل الى الهدف وفيه سلاسة وقوة . ودليل ذلك قصيدة « أوديب والمدينة الخرساء » فالشاعر لخص

فى صفحتين ما عايشه من آمال وآلام وما تجرعه من حياة وموت فى ظل عهد من العهود الماضية · وفى رمزية سهلة وحبيبة الى النفس يقول الشاعر :

حينما جئت الينا وسط الموج سفينه
حينما جئت ازدهارا لف أعطاف المدينة
واكتسى الجذر اخضرارا ورمى عنه العفونه
انطلقنا نحضن الشمس التى كانت سجينه
وانتصبنا كل ما كان انحناء صار فينا كبرياء
غير أن الريح قد تحبط للسفن الرجاء
كل ما كان دواء صار داء
صار أوديب بلاء
ووضعنا ألف مرآة له تعكس ظله
صار نرسيس مدله

ويمضى الشاعر فى وصف نهاية تلك الحقبة وأثرها ومشاهدها فى قوة وادراك شاعر أصيل مما يرتفع بمنزلته الى مجال الفن الخالص ·

وفى قصيدة « العبور » نجد أسلوبا غنائيا مع عذوبة لفظ وقوة خيال حيث يقول :

حين لمسنا وجه الماء توضأنا وسجدنا
قلنا باسم الله وباسم عرابى وصلاح الدين
باسم الشهداء بطور سنين
باسم العمال وباسم الفلاحين
فانغلق البحر وسرنا بين جبال الموج
كانت آلاف الأشياء تحيينا

وعصا موسى تهدينا
موسى ألقى بعصاه الينا
فأخذناها وضربنا البحر
فانشق الى آلاف الطرقات
كان ضجيج الآلات ٠ وهى تشق البحر
وتصعد بين تلال الرمل
تلقى بقشور اليأس العالق بين الوجدان
تغسل أدران الحزن الملتصقة بجبين الانسان
وتعبئى أحواض النار
لنغسل فيها قمصان الأمس المتسخة من عرق العار ٠

★★★★★

ولا ينسى الشاعر أن يرثى أصدقاءه ومنهم محمد الجيار وعبد اللطيف النشار ويقول فى قصيدة «مرثية لشاعر جوال» عن الشاعر النشار :

كنت ترتل أعذب صلوات الحب
حين انحنت الرأس وسال لعاب الشدقين
انتهت اللعبة ٠٠ لعبة أن تحيا ٠٠ وتكابد
فالى أين ٠٠ ؟
كان متاعك ما تحمله فى يمناك
عصاك ٠٠ وبضعة أقلام ودواة من حبر
وقصاصات الأوراق
قرب المقهى سقط متاعك وسقطت
طارت بعض قصاصات الأوراق

غاب العالم •• من غنيت له الأشواق
من يدرى ؟ قد تلقى الريح ببعض أغانيك أمام حبيبين
يا نهر الشعر المتجدد
لن ينساك الشعر وقد
أحرقت له السبعين شموعا فى المعبد

★★★★★

ان أجمل ما فى شعر صاحب ديوان « فى انتظار المطر » هو هذا الانفعال النفسى الذى تثيره فيه الأشياء والأحداث والمعانى والأشخاص عند اعادة التجربة فتخرج القصيدة عامرة بالعواطف الجياشة وكأنه انتزعها من هوة الموت ودفع بها الى القارىء دافئة تنبض بالحياة •

وبعد ما زلت أقول اننا فقدنا شاعرا فى قمة نضجه الفكرى وخسرنا بفقده نبعا من الاحساس العميق والتأمل الواسع والموهبة الحقة والطلاقة الفنية الأصيلة •

رحم الله الشاعر الكبير كيلانى حسن سند •

دكتور يوسف عز الدين في ديوانه
في ضمير الزمن

يقول عنه الشاعر الراحل صالح جودت فى مقدمة ديوان الدكتور يوسف عز الدين « فى ضمير الزمن » ·

« ان صاحب هذا الديوان أستاذ من أبرز أساتذة هـذا الجيل فى العراق الحبيب وهو صاحب دراسات عميقة خلاقة شغله عمله الجامعى والعلمى عن الشعر كثيرا ولكنه بقى فى أعماقه شاعرا كبيرا حتى فى نثره وفى علاقاته الانسانيـة وفى حياته كلها ·

وهو لم يبرز من طاقته الشعرية الضخمـة الا قليلهـا ولا يزال يختزن كثيرا لآونة يطمئن فيهـا الى الزمن ويجـد خلالها فسحة من الوقت تتيح له أن يخرج هذا المخزون الدسم فى أعمال شعرية أجل مما أنجز ·

وأما مقدرته على أن يكون شاعرا مسرحيا فأستشفهـا فى هذه العناصر التالية :

١ ــ براعته فى قص القصة فى الشعر ·

٢ ــ مقدرته العروضية ·

٣ ــ سعة أفقه ·

ويتساءل صالح جودت ترى الى آية مدرسة ينتمي صاحب هذا الديوان ؟ · ثم يعود فيجيب : انه ينتمي الى جماعة شعراء أبوللو الرومانسيين فى بعض قصائده مثل على محمود طه وابراهيم ناجى وحسن كامل الصيرفى وقد تأثر أيضا بغزليات الشعراء الظرفاء كأبى نواس والعباس بن الأحنف والبهاء زهير ·

ولكنك لا تستطيع أن تقول انه قد سطا على معنى لواحد منهم ويستشهد صالح جودت بقصيدة « ليست الذكرى سرابا » فى تشبهه بجماعة أبوللو وهى قصيدة طويلة نقتطف منها هذه الأبيات :

يا حبيبى أو تدرى من أنا
ان أشجان هوانا تستعر
اننى زفرة مرتاع الحشا
قد رمانى للحياة القدر
يا حبيبى فامنح الصب رضا
فبذكر الحب يحلو السمر
فيك قد غنيت أنغام الهوى
فبكى اللحن وناح الوتر

★★★★★

وأما قصيدة « حيرة » فهى تميل فى تشبهها الى كفة الظرفاء حيث يقول :

يبوح أم يكتم صب بكم مغرم
ان باح فى وجده فكلكم لوم
فى قلبه لاعج وبالهوى مفعم

اخـفى جراحـــاله هينها مؤلـــم
لاذقتـــم لوعتى من صـــابها مطعم
أسهرتم مدنفـــا لكنـــكم نمتـــم
ما بال قلبى الذى لا يرعوى عنـــكم
قد لج فى وجـده وسقـــمه منكم

★★★★★

وأجمل ما فى شعر صاحب ديوان « فى ضمير الزمن » هى هذه الطلاقة الفنية الموجودة فيه بالفطرة ·

ولقد ظل الشاعر الكبير أبو شادى يدعو ولم يسأم طوال حياته الى الأصالة الفنية والوحدة التعبيرية واطلاق النفس على سجيتها والتناول الفنى السليم للموضوع والمعانى · ويقول أبو شادى : ان كل شعر يطابق هذه الخصائص فهـو مقبول جميل كيفما كان قائله أو العصر الذى يعيش فيه ·

وفى الحق عندما نحب أن نعرف خصائص شعر الشاعر يوسف عز الدين يكفى أن نقرأ قصيدة من قصائده لنتبين فيها سمات الشاعرية فى فنه ومميزاتها ·

فاذا نظرنا الى الديوان ككل لم نجد فيه غير القصائـد العاطفية الغزلية وللشاعر عذره فهو ديوانه الأول طبع فى عهد الشباب الغائر وأعيد طبعة للمرة الثالثة بعد عشرين عاما من العمر واذا علمنا أنه أصدر بعده ثلاثة دواوين هى : (الحان) ولهاث الحياة ·· ورحلة الحياة وجدنا ان انتاجه قليل ولكن فيه روح وفهم ·

وفى الديوان قصائد تمثل خلجات قلب الشاعر وأعمق مشاعره وتتمثل فى غزله وحبه وفى أحاديثه عن نفســه وشكواه ·

وهنا نجد عاطفة قوية وخيالا جميلا وأسلوبا غنائيا يمتاز بالاشراق والعذوبة والموهبة الفنية ·

ولنستمع اليه فى قصيدة (فاتنة العيون) :

ان فى عينيك يا قاتلتى

خمرة تلهب فى الاحساس وجدا

كلما أمعنت فى سحريهما

خفق القلب حنونا وتردى

لا تلوميه فقد جرعته

غصص الآلام كأسا اثر كاس

ارسليها فتنة عاصفة

احرقى روحى وأحلامى وحسى

وهكذا الشاعر أمام صولة الحب وثورة العاطفة وسورة الشباب ، ولوعة الحزن فى شعر يعيش على الصدق ويحيا على الوفاء ·

الى أن يقول وهو يصف تملك الهوى لعواطف الانسان :

أنا أهواك كما يهوى الاله

راهب يرفع لله الصلاه

باع للخالق فى خلوته

كل ما يملك فى هذى الحياه

وهكذا فالعاطفة القوية لها أثر قوى فى الشعر العاطفى ·

يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى : ان العاطفة هى التى تفتح منافذ الحياة والكون والروح أمام الانسان ،

ولا بد فيها من الصدق والحيوية ومن ثم نجد الفرق كبيرا بين محب تغزل وبين رجل يتكلف الغزل تكلفا دون أن يشعر بالصد والوصال واللقاء والفراق والشوق والوجد والرضا والنفور والدلال والجمال » .

ويقول صالح جودت فى مقدمة ديوان « فى ضمير الزمن» للشاعر يوسف عز الدين : « ان قصائده تشبه فى رقتها وحيرتها شعر جماعة أبوللو ففى قصيدة « الوفاء » نرى صورة شعرية تنطق بها تجربة عميقة قوية التعبير .. يقول الشاعر :

وهلل الشاعر فى غبطة
يرتقب الشمس ارتقاب الحبيب
وانساب ماء النيل فى روعة
كانه الشيخ الوقور الغريب
وافتر ثغر الشمس عن بسمة
حيت بها الأزهار فوق الكثيب
فاستيقظ العالم من رقدة
محملا أرزاء دنيا الخطوب

وهى صورة متحركة للنيل ساعة الفجر تدنيك من صور الشاعر الرسام على محمود طه .

ويقول الشاعر يوسف عز الدين فى قصيدة « اقرئى الفنجان » وهى قصيدة ذات نغم موسيقى عذب ويزيد فى حلاوة موسيقاها بحرها العاطفى وهذه القوافى المتعددة المتغيرة وهى سبيل من سبل الجديد الصحيح وان كان الشاعر يعتز بتراثه الأدبى ويقف منه موقف المحافظ . يقول منها :

اقرئى الفنجان « يامى » اقرئيه
فعسى أن تجدى حظى فيه
قلت لى : مستقبل كالزهر ناضر
وسيبنى مجدك الفذ مفاخر
وأرى ذكرك فى الفنجان عاطر
فى فم الدنيا أغاريد سواحر
فاذكرى لهفة وجدى واشرحيه
واقرئى الفنجان يا « مى » اقرئيه

★★★★★

لم عيناك هما أصل شقائى
وهما ـ ولتسلما ـ بلسم دائى
وعلام اغتالتا منى هنائى
فمتى يرحمه طيف الرجاء
ايه يا « مى » احميه وانصفيه
واقرئى الفنجان يا مى اقرئيه

وشاعرنا رقيق الاحساس مرهف الوجدان ، قلق على شباب هذا الجيل ، يشد أزره بأجمل ما عنده من كلمات مقنعة حيث يقول فى مقدمة ديوانه :

« أرجو أن يحس الجيل المعاصر بأن حزنه وقلقه وحيرته شملت جيلنا أيضا لأننا لم نحقق آمالنا بالأمس فى حاضر أمتنا العربية بل زادت المصائب وكثرت الأشجان وهزتنا نكسات العرب وهزائمهم فى هذا الجيل .

ان الحزن الذى عانينا منه فى الماضى ويعانى منه الجيل الحاضر هو طابع الوثبة ومظهر الطموح لتحقيق مستقبل

أفضل لأمتنا فالشعور العميق بالحاضر الحزين ورهافة حس العربى دليل على أننا لن نرضى بحالتنا وبرهـان على أن العرب لا بد أن يصلوا الى ما يريدون ٠٠ والخوف كل الخوف من تبلد الفكر وعدم الشـعور وانتشـار اللامبـالاة بين الأجيال » ٠

وهكذا كل شاعر أصيل ، تثور انسانيته اليقظـة على كل ما يؤخر رقى أمته أو يحول بينها وبين التقدم ، وتسوده نزعة التحرير والدعوة الى الحرية فى أوسع نطاق وتسـود فيه نزعات القومية والوطنية ٠

ذلك لأن الحياة تغرس فى نفوس الشعراء هذه المشاعـر الوطنية فى عالمه ٠ هذا العـالم الملىء بالآمـال والآلام والاستبداد والديموقراطية ٠

ولا يجب أن ننسى اخلاص شاعرنا الكبير يوسف عز الدين لشعره فى كل سطر من سطـور مجموعته الشعريـة واستقلاله بأسلوبه فقد عرض لنا الديوان شخصيته المتكاملة ووجهة نظره الخاصة فضلا عن وقوع هذه التجارب فى سن مبكرة ٠

ولا يجب أيضا أن ننسى تلك النغمة الحزينة فى الديوان وذلك الشجن الأكبر الذى يوغل فى أعماق القـارىء منذ البداية حتى نهاية الديوان حيث يقول فى قصيدته « أنا ٠ ان نعمت » :

ذوبت كـل عـواطفى أنغـاما
وتفجـرت فتـدفقت آلامـا

هذا شـبابى الغض فى ريعـانه
عصفت به الدنيا فـكان حطـاما

الناس قد شربوا المـدام سعـــادة
وأنا لهمى قد شربت مدامـــــا
أنا ان نعمت بطيب يـــوم واحد
جـــر الأسى والحـــزن لى أعوامـــا

★★★★★

وبعد . لا شك أن ديوان « فى ضمير الزمن » لصاحبه الشاعر الدكتور يوسف عز الدين هو وليد شعور وتأثر أى هو وليد هزات نفسية عميقة ، وهو محاولة صادقة لما كــان يدور فى قلبه فترة شبابه . لم يقلد صاحبه آحدا ولم يتكلف فى نظمه أو يقحم ما ليس بالضرورة .

وانا لنسعد بقراءته الى أن يتيح لنا صاحبه قراءة ديوان غيره .

★★★★★

الدكتور مختار الوكيل في ديوانه
موكب الذكريات

هو أحد شعراء جماعة أبوللو التى أسسها المرحوم الدكتور أبو شادى ورأسها أمير الشعراء .

عاش فى الخارج فترة طويلة ورأس وفد مصر الدائم لجامعة الدول العربية فى سويسرا .

شاعر فياض العاطفة أخذ مكانة واستوى فى مكانته . ليس بين شعراء مصر من يجهل له هذا المكان أو ينكر عليك تلك المكانة .

فهو اذن من الشعراء البارزين فى الوسط الأدبى القاهرى . أنيق فى حديثه ، أنيق فى ملبسه ، أنيق فى شعره .

وهو « جنتلمان » كما يقولون من الطراز الأول . نجده يشارك الناس آلامهم وأفراحهم مشاركة موجهة قوامها الاخلاص والايمان بكل ما هو خير وحق .

شعره ترجمان نفسه وعواطفه ، أمين فى تصوير حسه ، مصقول اللفظ ، حلو الموسيقى له النغم الذى يطرب ويشجى . وديوانه هذا « موكب الذكريات » يجمع فى شعره نار الوطنية المشبوبة وأزهار التصوف العطرة وبعض الخواطر التى مرت

على موكب الذكريات منها ما تخصه ومنها ما يخص الأصدقاء الأحياء منهم والأموات ·

وأما وطنياته فهى جياشة التعبير ، دقيقـــة الوصف يحرص الشاعر على أن يضع البيت منها فى موضعه السليم ويهتم بالقصيدة فى تركيبها وفى ترتيبها وفى تناسق معانيها ومطابقتها للواقع ·

ففى شعره الوطنى يقول الشاعر فى قصـــيدة « عيد النصر » وقــد انتصرت مصر وما زال العرب يستنكــرون ويصيحون :

★★★★★

ثلث قرن مضى ·· أجل ثلث قـــرن
والملايين تحتسى المـــوت ريـــا

فى حـروب مجنونـــة تتهـــادى
تحصــد الأنفس البراء جثيـــا

وترد الغـــلام فى الهـول شيخا
والعجوز الضـعيف أمسى صبيـــا

ما لهذا الطنين فى الليل يعلـــو
يزحم الجـو دانيـــا وقصيـــا

يا أخى يا أخ العـــرب مهـــلا
لا تـكن منكـرا ولا رافضيـــا

ان خلفـــا أمعنت فيه حقيـــق
أن يزيد الطاغـــين زيفا وغيـــا

ويستعرض الشاعر مأساة مصر وما عانته من آلام ويهتف حبا :

أنا لو كنت غير ابن لمصر لتمنيت نشأتى مصريـا

وشاعر يملك دقة الادراك وعمق الشـعور وصـدق الاحساس فيقول فى قصيدة « نصر رمضان » وقد مزج الدين بالحرب :

اللـه أكبـر هـذا مـوقف عجب
الله أكبر قالوها وقـد وثبـوا
الله أكبر قـد قيلت بـكل فم
فحصحص الحق والأعداء قد هربوا
هز العدو دعـاء صـك مسمعـه
نادى به اللـه والقرآن والكتب
الله أكبر قالوهـا وقـد عبـروا
الله أكبر قالوها وقـد ضربـوا

ورغم أن شعر مختار الوكيل عمودى مقفى الا أن أغلبه صورة من صور التجديد فى الشعر العربى وهـو ما يسمى بالشعر الحديث المتغير القافية · ويقول خليل مطـران فى التجديد الشعرى « أريد التجديد يتمثل فى التفكير بمعناه البعيد الغور الذى هو منبع الابتكار · وما أعظم الشاعـر الذى يستطيع تصوير كـل صغيرة من معـانى النفس وأن يبلور عواطفه وأحلامه فى وحدة منسجمة ، انه يغدو شاعر الانسانية ·

ومن هنا نجد هذه القصيدة الوطنيـة المتجـددة « الى وطنى » :

وطنى أحبـك أنت يا وطنى
وبغيـر حبـك قـط لم ادن

وأراك بسـاما علـى الزمـن
تسـمو علـى الآلام والمحـن
ولأنت غريـد على فتن

والوطن عنده هو الجنة الخضراء والأنجم الزهراء والنيل الضاحك فيكمل :

مرنـا تجدنـا حيث ترضـانا
للمجـد أو للمـوت أقرانـا
واذا أهبت بنـا ستلقـانـا
يـوم النـداء نهب شجعانـا
نحميك فى الأحداث يا وطنى

★★★★★

وشاعرنا ذو ذكاء لماح وطاقة شعرية عالية وهو شاعر تغريك كلماته قبل نظمها ويركز تعابيره كيلا تفلت منه البنية المتماسكة ولكى يضمن محتوى سليم الأداء له ما يبرره ٠

ومختار الوكيل لا يؤمن بالوحدة الفكرية ولا الترابطات العفوية فالوحدة عنده عضوية نامية تتطور حسب انفعال الشاعر ٠

وهو لا يحب التكرار الا اذا كان مقويا للترابط الأصلى ويميل كل الميل الى التركيز فى الجملة ٠

ولقد تمكن من تفجير ينابيع طاقاته الشعرية فكشف عن سمات شعره كشفا قويا وخير ما يمثله قصيدته ٠

حيث يوجه قصيدته للزورق الخارق عباب البحر يستعرض عناصر شعره وكيف استمدها من الطبيعة ٠

أيها الزورق الذى ألهم الشـــعر
فؤادى وصـــان لى أنغـــامى

اجمع اللحن من هــزيم الأعــاصير
وعصف الريـــاح فى أحـــلامى

وغناء العصفور فى مطلع الفجـر
ونعق الغربـــان فى الآكـــام

واصطفاق الأمواج عنـد التـلاقى
ونعيب البومات فـــوق الركـــام

وثغـــاء الحمــلان بين المـــراعى
وزئـير الأســـود فى الآجـــام

كـــل هـــذا لحـــن يداعب روحى
ورحيـــق يزيـــل عنى ســـقامى

★★★★★

وأما صوفياته فهى رقيقة وديعة ففى قصيدة « كعبـة الله » يقول الشاعر وقد أدى العمرة لأول مرة وقف طويـلا أمام الكعبة المشرفة يتأمل ما حوله ويـــرى ما يأسر النفس ويجذب العين والناس عكف على الصلاة وقد خلـعوا ملبس الحياة وأسلم كل منهم القياد وشغل عن الأهل والأحباب :

مـــكة وردة الوجـــود قديمـــا ولـــم تـــزل
شاعر الحب قـــم وقـل ههنا موطـــن الغـــزل
صانها اللـــه للـــورى وبهـا الوحى قــد نـزل
ايه يا كعبـة الهـــدى قصر القـــول والعمـــل
كـــل ما فيـــك ملهم زاهر يقتـــل الملـــل
الحمـــامـــات حـــوم والعنيزات والجمـــل

والجبـــــال التى أرى   تلهم الشـــعر والطـــلل
فأصيخى   لشـــــاعر   عن منى الناس قد ذهل
واسمعى شـــعره الذى   خلد الحب والأمـــــل

★★★★★

والدكتور مختار الوكيل شاعر رقيق كنسمة ربيع ذو فطنة ذهنية لا ينظر الى الشيء دون أن تلمســـه روحـــه ويضمه وجدانه ٠

ومما لا شك فيه أن فطنة الشاعر لا يجب أن تنتهى عند حد أو غاية فهى التى تثرى الشاعر وتجعله يبتكر من المعانى الجديد والطريف وكلما ابتكر زادت قيمة الشـــعر واستقلت شخصية الشاعر ٠

وينظر شاعرنا الى الطبيعة فيسكـــره ويسبيه جمـــالها الفتان ويريد التعبير فيعجز البيان فيقول فى قصيدة « نشوة الألحان » ٠

أنـــا فى نشـــوة من الأنغـــام
فدعـــونى معانقا أحـــلامى
أنا فى صمتى الفصـــيح ســـعيد
سابح فى عـــوالم من هيـــامى
مستعيـــد فى خـــاطرى ما تقضى
من متاع وشقـــوة فى غـــرامى
أى وحى منغـــــم يتهـــــادى
وينـــاجى الفـــؤاد دون كــــلام
لست أسطيع صوغـــه فى قصـــيد
آدمى الألفـــاظ والأنغـــــام

لحنـــه ثـــائر يـــداعب روحي
وصداه معـــانق الهـــــامى

★★★★★

ولنستمع اليه فى قصيدة « أيكة الشعراء » وقد اتخـذ مجلسه ذات يوم من أيام الشباب مع الشاعر الراحل محمود حسن اسماعيل فى حديقة الجزيرة تحت جذع شجرة اجتثت فكانت كقاعدة تمثال كونه الشاعران ، وكان الوكيل يحمل أحزان العالم ولكنه كعادته بشوش المحيا ضاحك الثغر ·

وأشد ما يؤلم النفس أن تخفى حزنها وتتظاهر بالمرح ·

يقول الشاعر :

جمعتنـــا فأحسنت بالخيـــال
صورة قد وعت فنـــون الجمال

قـــد جلسـنا هنـا فأنت عبوس
وأنا واضح البشاشـــة خـــالى

لست أدرى من صـور الحق فينا
أنا أم أنت يا حميد الخصـــال

بل أنا الكاذب البشاشـــة والبشر
المعنى مـــن الهمـــوم الثقـــال

ويحث شاعرنا صديقه على تـــرك الحـــزن واليأس واحتضان الحياة بروح مرحة فيقول :

أنت يا من نهضت بالفن وبالشعر
وللحـــق والهـــوى لا نغـــالى

نحـــن فى جنة الجزيرة فانهض
وانض ان شئت ثوب المـــلال

ويلتقط الوكيل أنفاسه فقد استراح اذ نصح صديقه ثم ينتقل من التجريد الى التحديد فيصف معالم الجمال فى الكون موحيا بالأمل :

قد جلسنا أمامنا النيـــل يسرى
فى ابتـهال وخلفنا الدوح عـــال
ودنت من مغيبها الشمس فى الغرب
فســـارت مختالـــة فى دلال
هبطت فوق قمة الهـــرم الأكبـر
ترتـاح من ضنى وكـــــلال
ومشت بين ضجـــة وعـــويل
وتوارت فى روعـــة وجـــلال
لم تصغ للنـــواح ردده الطـــير
وراحت غريقـــة فى الظـــلال
طمست والسحـــاب فيه كـثير
من سناها وفيه جـــل الجمـــال
ورجعنــــا وفى الفـــؤاد لهيب
زاد من نـــاره دنـــو الهـــلال

★★★★★

وبعد ان شاعرية الوكيل القوية المتحررة تتسم بالمثالية الرومانسية النزعة وما شعره الا نبع احساسه العميق وتأمله البعيد ونظرته الى ما وراء المظاهر ٠

ولا مجال للاستشهاد بقصائد أخرى فكل شعره عـــلى درجة كبيرة من النضج الفنى فى ديوانه « موكب الذكريات » أثبت فيه صاحبه على استيعاب التجارب واجترار الذكريات واقعية وجدانية ونفسية انسانية ٠

طاهر زمخشري في ثلاثة دواوين

بين يدى الآن ثلاثة دواوين للشاعر العراقى الكبيـــر « طاهر زمخشرى » وهى :

« الشراع الرفاف » و « صبا نجد » و « أغاريد الصحراء » تحقق لى جمعها من بعض الشعراء عندما أبديت رغبتى فى مزيد من القراءة لهذا الشاعر المجيد .

ولكنى ما كدت أنتهى من قراءتها حتى صمت حائرة .. هل أقف مكتوفة اليدين أمام هذا الخضم الزاخر الـكبير ؟ وهل أغمض العين أمام هذا الجمال الشاعرى الساحر .. ؟ فأغلق صفحات هذه الدواوين وأضعهـــا فى مكتبتى وكأن شيئا لم يكن .. ؟

كلا .. بل آن لى أن أكتب عن صاحبها ..

عن ذلك العابد فى محراب الهوى والجمال ..

عن ذلك العاشق الأبدى للخير والصدق والوفاء ، عن ذلك القلب البسيط المتواضع ، البعيد كل البعد عن التكلف والزهو ، رغم ما يتحلى به من شاعرية غنية تملك الكثير من البذخ والترف والثراء ..

وأمسكت بالقلم ..

قلت لأحاول أن أعرض على القارىء قدر ما أستطيع ذخائر أدبه الرفيع ، ودرر شعره الغالى وان كان الوطن العربى قد لمسه من قبل وتغنى به فى لهفة وروعة واعجاب .
وأقوى ظاهرة فى شعر طاهر زمخشرى هى تلك العاطفة الصادقة المشبوبة التى تغمره حين يتجه بروحه وقلبه الى الله عز وجل حيث يقول :

أنا فى دنياى ظل لحياة لا تدوم
وهوى نفسى لو أقفوه شيطان رجيم
وحياتى بالشجا الكاوى حرور وجحيم
فاذا عاثت بجنبى هموم وكلوم
رحمة الله ......

ما أجمل احساس المرء بالراحة والأمان فى ظل سيره على هدى الخالق ومحبته ورضائه ..

سبحى لله يا نفس وصلى واشكريه
واذا عاثت بك البلوى وهاجت فاذكريه
انه الشيطان يغويك لتشقى فاحذريه
فاذا غالك اثم جامح فاستغفريه ...
سبحى الله ...

ان الشاعر يخشى الغواية من فرط الألم ..

فالألم يبعث فينا اليأس ، واليأس كفر برحمة الله .. ولا شىء يبعد ويهزم الشيطان غير ذكر الله سبحانه .

وهكذا نجد معظم قصائده الدينية تسير على هذا المنوال الواعظ والهادف له وللانسانية جمعاء .

ثم نأتى بعد ذلك الى قصائده الوطنية •• وانها لتبعث على الفخر فى قلوب مواطنيه فكم غنى الشاعر بحبه لوطنه وتمنى لأبناء هذه الأرض المقدسة كل الخير والبركات •••

ولنستمع أليه وهو يقول :

يا شبابا توثبت حولـه الآمـال
رفافـة كخفق البنـود

أرسلوا الصوت صاخبا كالصواريخ
وراء المدى وفـوق الحـدود

حاملا فى رجيعـه يقظـة الفكر
وزأر القوى وزند الوقـود

اشعلوها على الجهـالة حربا
يتلهى أتونهـا بالجمـود

ان روح الشاعر الوثابة الى المجد لتهيب بالشباب أن يتملى السنا ويرتقب الصباح الوضيء ••

فالقـوى ، القـوى من يطلب
المجد ويسمو الى مـداه البعيد

والقوى العنـيد من يرهب الخطب
بزأر يفـوق زار الأسـود

والشاعر فى كل مرة يذكر فيها وطنه يعتريه زهو أكيد ، فليس من السهل على فتى من أرض الحجاز أن يتظاهر باللامبالاة حين يذكر أقدس أرض وأشرف وطن ••

بلادى فداؤك روحى وعينى
لنور بشع من المسجدين

بلادى .. بلادى .. بـلاد الهـدى
تجاوزت بالعـــدل أقصى المـــدى

فكنت نشيدا طـــروب الصـــدى
ومازال يهتف فى الخـــــافقين

ويذكر شاعرنا الكبير أيام الحج وأنفاسها العطرات :

فى صعيد به المـــواكب طـــافت
لها الطهر فى شفوف وضـــــاء

فى صـــعيد بـــه المـــآزر بيض
حاكها الحب من نسيج الصفـــاء

فى صعيد بـــه الجمـــوع تلاقت
فى نـــداء مجلجـــل الأصـــداء

وتعود به الذكرى الى أيام صباه ومغانيها الجميلة فينظم أروع قصائده ، ويعروه الحنين وتمـوج به اللهفـــة فى قصيدة « شراع الذكريات » :

أين يا ربع بعد زحـــف العـوادى
مرتع كان مخصب الجنبـــــات

أين بيض المنى بســـود الليـــالى
أين ملهى الهـــوى وأين لـــداتى

ذكرتنى أيـــام نفـــرح بالغيث
ونغدو فى السبل بالوثبـــــات

والحوارى بنا توصوص كالنجـــم
بلبل ينـــوء بالظلمـــــــات

والجدار الذى يريـــد سقوطـــا
راح يعطى الانذار بالطقطـــقات

نحن من تحته نجلجـــل بالضـــحك
ونثنى الأعنـــاق باللفتـــات

ونبـاح الكــلاب يختــرق الأذن
بصوت ممـزق البحــــات

وقطيع الأغنـــام يلذعهـــا البرد
فترجـــو المعين بالغمغمـــات

والـــرذاذ الملتــاع من صخب الريح
يدق الأبـــواب والعتبـــات

والعيون التى تحـــاذر أن تلقــاه
خلف النوافـــذ المقفـــلات

وعلى الدرب هـــوة تنثر الذعـــر
بمـــا حـــولهـــا مـــن العثرات

واللحاظ التى تخطفهـــا البـــرق
تضىء الطريق بالومضـــات

وعلى نورهـــا نســير زرافـات
نبارى الرعـــود بالقهقهـــات

صورة وأيم الحق تجمع كل الصور الشعرية الرائعة ..
ومعان بالغة القوة فى التعبير وفى اعادة خلـــق التجربة ، كأنها مرآة صافية نقية ..

كل شىء فى هذه الأبيات صادق وطبيعى ..

كل كلمة فى بيت من الشعر لا يمكن أن تحل محلها كلمة أخرى .

كل غرض كامن فى نفس الشاعر أراد له الظهور فخرج من دائرته الذاتية الى العراء والضوء ..

وشاعرنا هنا يشرح وفق طبيعته وهواه ، وليس وفقا لتوجيه أو فكر أو مذهب ٠

لقد تذكر أيام صباه فماج قلبه بالحنين والشوق ونظم الذكرى شعرا طلع علينا فى ثوب طريف وذوق سليم وايقاع منظم ولفظ يمنح القصيدة من الجرس والايحاء والتأثير الشيء الكثير ٠٠

ثم نأتى بعد ذلك الى الشعر الوطنى العربى فى دواوين طاهر زمخشرى الثلاثة ، فشاعرنا لا ينسى قط وطنه الأكبر، وطن العروبة المجيد ، وهو لا يستهين بالعمل البطولى العظيم للجندى العربى فى حرب رمضان المعظم ، ــ حرب تشرين ــ ذلك الجندى الذى حطم أسطورة الخوف من العدو ، وأماط القناع عن وجه ذلك العدو فاذا به يصرخ فى ساحة الحرب معترفا بهول ما يعانى :

فالدمار الذى نشرنا على الأرض
رمانا بهوله وطوانا

والفناء الذى يكشر نابا
لاك منا الأرواح والأبدانا

أهم العرب أم أبالس حرب
قد أجادوا من فنه ألوانا ؟

والبطولات فيهم تصنع النصر
وتحمى الذمار والأوطانا

ومثل كل فنان أصيل مرهف يحس شاعرنا زمخشرى بالألم يعصر قلبه حين ينظر حوله فيرى الخيانة والغدر من بعض الصحاب فيقول فى مرارة وأسى :

ان لى مجهـــرا يرينى الخفايـــا
في تضاعيف زمـــرة أدعيـــــاء
من خؤون عاطيته الــود صرفـــا
فتوارى يكيد لى فى الخفـــــاء
أو جهـــول أراه فى يمـــــارى
وهو عشواء لا تـــرى أضـــوائى
أو لئيم فتحت منـــــه عيونـــا
ليرى الدرب فانبـرى لعـــــدائى
أو مداج يفتر عن جســـــم أفعى
وهو ينقض جارحــــا من ورائى
أو دعى حسبته موضـــع الـــود
اذا بى أراه أصـــــل الـــداء
كلهم أرهفوا الحقـــود وراحـوا
يتبارون فى ادعاء الوفـــاء ...

ولكن .. ماذا بعد ذلك ؟ وهل شاعرنا حـــزين يائس حقا ؟

كلا .. وألف كلا .. انــه أكبـــر من أن يلتفت الى الصغائر انه الشاعر العملاق ، انه الطود الراسخ اللا مبالى بهذه التفاهات كما يقول :

أنا للمجـــــد أبتنيه صروحـــا
لا هراء مبعثرا فى الفضـــــاء
ديدنى النـــجح والســـواء سبيلى
ولو انى أسير فى رمضـــــاء

كل يوم يمر وهـــو حفيـــل
بسطور كتبتهـا بدمــــــائى

وستبقى عـــلى الليـــالى سجلا
لم تشوهه زائفـــات الرياء

★★★★★

وهناك ظاهرة واضحة كل الوضوح فى شعر طاهر زمخشرى الا وهى الصبر ، انها صفة نبيلة تجعلنا نتحمل متاعب الحياة فى جلد وأمن • ولقد ذكرها الشاعر فى كثير من قصائده :

كلما ضـاق بى سبيـل توجهت
الى غيره لأوج المعـــالى

فاذا أوثقت خطـاى المقــادير
وجـاشت بها صروف الليـــالى

أو اذا عـربدت همـوم بنفسى
وأذابت حشـاشتى بالثقـال

وتعثرت فى الطـريق فلا ألمــح
حتى وميض بـــرق لآل

وأنـا سـابح أهيـم بلـج
صاخب الموج بالأسى القتـــال

فى يدى المجـداف يعصف بالمـوج
ويلهـو الشراع بالأهـــوال

كلما زمجـرت همـوم تـوارت
خجلا من تجلدى واحتمالى ••• !

وباعمـــــاقى البـــراكين تـــرمى
كاسفات الحـــدود بالزلـزال

وسفينى يخوض فى غمرة الأيـــام
حربا أعملت فيهـــا نبـــالى

كلما راش لى سهـــام خطـــوب
مزقت من حرورهـــا أوصـالى

أتحدى الشقاء بالطعنـة البكــــر
وأستل للمـــآسى نصـــــــالى

وهكذا الشاعر زمخشرى يصبر على المحن وليس معنى الصبر أن يستكين أو يلين ، بل يتحدى القـدر فى أنفـة وكبرياء •

ثم لا ننسى أنه الانسان المؤمن الذى أسلـــم قياده الى الخالق والرحيم •

كم تدرعت باصطبارى وأســـلمت
قيادى للـــه رب الجـــــــلال

والى منـــــه بســـطت يمينى
والى بره شددت رحــــــــالى

فهـــو اللــــــه لا أحس لديـــه
ان همى فيضه بذل الســــؤال

وهو اللــــه أضيق بمـــا قـــدر
اذ لطفه قريب المنــــــــال

وهو الباسط المـــدبر للأرزاق
والبر واســع الأفضــــــال

لا أبـــالى الاقتـــار ، لا أرهب
الأقـــدار ما دام مرجعى للزوال

شاعر انسان يؤمن بالحق ويتحلى بالصدق ، يقدس الوفاء في عالم مليء بالمخاتلة والنفاق .

انه ذو طبيعة عفة جادة لذلك عاش ويعيش هاربا من واقعه .

لم تكن الحياة سهلة بالنسبة لشاعرنا فمطالبها كثيرة وأشواكها دامية ، ولكنه يجد الراحة فى الشعر .. يتفيأ ظلاله الآمنة ويعيش من خلاله فى أمن وسلام ..

والآن .. وقبل أن أدخل روضة الشاعر الغرامية المليئة بالزهور اليانعة ، أحب أن أنوه فى كلمات قصار أن للشاعر كثيرا من القصائد التى استخدم فيها بيانه للدفاع عن الانسانية المعذبة وتناول فيها كثيرا من الأغراض الاجتماعية داعيا الى التفانى فى سبيل عزة وطنه والعمل على تقدمه وازدهاره ..

والآن .. وقد أنطق الجمال عباقرة الفن فى العالم . ففاضوا به رسما ونحتا ولحنا وأدبا .. فالجمال عند الشاعر طاهر زمخشرى قد بعث فيه ذلك الشعور الفياض والاحساس العارم بالروعة والاعجاب .. فأثار شاعريته وخياله ووضعه فى صفوف النوابغ ..ومنحه قدرة وافية فى التعبير عما يجيش به قلبه من نفحات روحه القلقة .

أجل . ان للجمال قوة معنوية هائلة ترد عنا الخوف ولكنها فى الوقت نفسه تمدنا بالانفعالات المبهمة القلقة ، ذلك ان الجمال عند زمخشرى مقرون بالحب وبالعاطفة الجياشة النارية .

والمرأة عنده هى سر جمال الكون بأسره ، وهى أمامه فى كل ركن يهفو اليه ، أمامه بجمالها الساحر فى كل قصائده المدونة فى « شهرزاد » و « أنت لى » و « تعالى » ، لقاء ،

غنوة ، بسمة ، وكما تكثر قصائد الغزل فى دواوين زمخشرى تكثر أيضا قصائد الهوى المعذب بتباريح الحنين والشوق ، كما فى قصائد : الموعد المنتظر ، عرفناها ، أحلى المنى ، سراب ، الأمل ، مزمار الآهات • وغيرها الكثير •• ولنستمع اليه وهو يترنم بجمال « سعدى » :

سرق الورد عطرهـــا فتنـــدى
وعلى خصرهـــا النسيم تعـــدى
فاذا البـــدر قد تـــوارى حياء
من جبين بنورهِـــا يتحـــدى
واذا الغصن قـــد تـــكسر اجـــلالا
لمـــن فاقـــه دلالا وقـــدا
واذا الجدول الذى رقرق عـــذبا
لم يعـــد للمرواء يصـــلح وردا
واذا الطير راح يرهف سمعـــا
لنشـــيد سرى أرق وأنـــدى
و اذا صوتها الذى يعبـــر الليـــل
يصب الألحـــان بردا وشهـــدا
واذا الروض ينتشى بالأغـــاريد
ويذكى بين الأضـــالع وجـــدا

فلننظر كيف شبه الشاعر فتاته بهذه الصفات الساحرة ثم أنهى القصيدة بلفتة بارعة :

جئتنى والظـــلام يسرق خطـــوا
نافسته الأنفاس منها فأكـــدى

فاضاءت بنورها صفحـــة الكــون
وسرت بين الأزاهـــر مهــــــدا

قلت من يا ترى تخطر فى الروض
فقالوا •• ومن ترى غير « سعـــدى »

★★★★★

أما فى قصيدة « صباح » فقد استهلها الشـــاعر بهذه الأبيات المشرقة :

أسفر الصبح من ثنايا الظـــــلام
فى المحيــــا المغرد البســـــــام

الدجـــى ضمــــه اليــــه فضجت
خصلات من شعرهــــــا المترامى

وعلى جيدهــــــا استراحت فلــول
منه تهدى العبير للأنســــــــــام

وفى قصيدة « خوف » تأتى لصاحبها هــــذه الموسيقى المنغومة وتلك الألفاظ الموفقة ومن تساوقها تـــكونت أرق صورة وأحلى تعبير حين يقول :

يزحف الوقت نحــــو يــــوم فراق
والثوانى رنينهـــــا فى سبـــــاق

ما حــــرمنا من الوصــــال ولــكن
ما عرفنـــا لطعمـــــه من مـــــذاق

والعيون التى تحـــــدق فينـــــا
قد دماها الفضــــول بالاخفـــــاق

كلـــــما صـــوبت الينا سهامـــا
نتحــــــدى الســــهام بالاطــراق

وأراد الشاعر أخيرا أن يريح بحره المفضل فى الشعر فمال الى بحر آخر فى قصيدته « الموعد الأخضر » فطلعت علينا فى ثوب جديد رشيق يؤسفنى ايجازها :

موعـــــدك الأخـــضر يا نجمتى
مازلت أخــطو نحـــوه فى الظلام

أشـــلاء أيـــامى فى قبضـــتى
وفى فمى فوهة للغــــــــرام

فالليلة الضاحية الزاهرة
تبدو لعينى شقوة ثائرة
وليس الا همسة ناعمـــة
من نجمة فى أفقها باسمة

تقول : جدف فى خضم السعـــير
شراعك الصبر وجـــرح السهـاد

يوقظ فى النفس قوى الشـــعور
وان تلـــظى لاهب فى الفـــؤاد

لا تسأم العثرة بين الدروب
فالموعد الأخضر عند الغروب
بين التلال البيض خلف السهوب
يضمد الجرح بلقيا الحبيب

★★★★★

وفى تأمل الشاعر الحكيم ، وفى توحد الشاعر الحزين ، يبدأ ميلاد القصيدة فيصف تلك اللحظة النادرة فى قصيدتـه « هناك » :

هناك فى السفح على الربـــوة
تستيقــظ الخاطـــرة الغافيـــه

لتلهب الأعمـــــاق بالصـــبوة
وتلهـــم الأبحـــر والقافيـــه

هناك حيث الليـــل فى صمتـــه
والأفق جذلان يناغى النجـــــوم

والنجمة العذراء فى برجهـــــا
فوق المسافـات ، وراء الغيـــــوم

هناك فى السفـــح تطـوف الرؤى
فـــاتنة تختـــال بين الـــدروب

وترســل الاشعــــاع ترنيمــــــة
تمس بالسحر شغـاف القــــلوب

فيكـــرع القلب رفيف الســـــنا
وخفقه الملهوف لحــن جــــــديد

والأمــل المنشـــود قيثــــارة
تشيع فى الآفاق رجـــع النشيـــد

★★★★★

على أن شاعرنا الموهوب أراد أحيانا أن يهىء لقارئه جوا من الطرافة فقدم لنا عدة قصائد رباعية وكم فى رباعياتــه من جمال ٠

ولأختم وقفتى باحدى هذه القصائد واسمها « استفتاء » حتى نقلب الصفحة أخيرا وعلى شفاهنا بسمة خضراء :

قاضى النهود ألا تجيب معـــذبـــا
يشكو اليك الفـــاتنات الغيــــد

لاقى الصبابة ما اشتكى من ظلمها
حتى نصبن على الصدور نهودا

وهززن أعطافا تميس رشاقة
وحملن فوق خدودهن ورودا

ووثبن موج الصدر يرقص فتنة
فاذا غرقت فهل أموت شهيدا

★★★★★

وبعد .. فقد حلق الشاعر طاهر زمخشرى فى آفاقه الرحيبة بجدارة وتغنى بالحسن والجمال والخير والحق شعرا مثاليا رفيعا صادرا عن خواطر الشاعر الذاتية وانطباعاته وأحاسيسه .

فهو شعر يعبر عما وهبه الله القدير من لماحية وشفافية وبلاغة وتأثير مع مراعاة ما يحفظ للشعر العربى سماته وخصائصه .

وبعد ..

فلنا جميعا نحن سائر الأمة العربية أن نفاخر بالشاعر العربى الكبير طاهر زمخشرى شاعر الأرض المقدسة الشماء .

دكتور عبده بدوي في ديوانه

الحب والمـوت

« الحب والموت » عنوان ديوان شعرى جديد لشاعر رقيق شهير .. تساءلت قبل قراءته : كيف يمــزج الحب بالموت ؟ وانتهيت بعد قراءته بالتسليم بما يؤمن به الشاعر .. وهو ان الحب المستحيل المؤدى الى الفراق هو الموت بعينه ..

ولذلك نجد لفظ الموت فى كثير من قصائد الشــاعر مثل قصائد « اللقاء الأخير » و « الحب المستحيل » و « طير الموت» وكلها نماذج رائعة توضح لنا اتجاهاته الشعرية وطريقــة تعبيره عن خلجات النفس .

وليس من شك فى أن شاعرنا بلغ مستوى رفيعا فى هذا العمل الفنى الخلاق ، رغم دورانه حول محور واحد .. هو الحب ، غير أن الأصالة والموهبة الفنية كانتا القــوة التى أبرزت كل ما يشعر به صاحب الديوان .. وأبعــدتا عن قصائده أى ظل للملل ..

ويتميز ديوان « الموت والحب » للشاعر الدكتور .بده بدوى باستقلاله وتفرده وبعده عن التقليد ، فهو عمل قائم بذاته ، ونحن عند قراءته نساق الى جو شامل غامر يوقظ منا الحواس والقوى المفكرة ، ويربطنا معه فى انسجام وتآلف .

ولقد قلت دائما : لا يهم نوعية الصياغة الشعرية حرة كانت أو مقفاة ، المهم هو الشعر الصادق المعبر عن تجارب صاحبه وما من شك في أن صاحب هذا الديوان شاعر صادق ينظم عن يقين ودراية ومعرفة واحساس ، ويجمع بين دقة الشاعر وخبرة الحكيم وريشة الفنان .

والديوان ذخيرة طيبة وصورة حية لأحلامه ومشاعره .

لذلك يشعر القارىء أنه أمام قلب يطل عليه من بين السطور ، قلب يشعر أن العدالة يجب أن تشمل العالم ، وأن الصدق يجب أن يعم الكون .

وديوان « الحب والموت » يوحى بأنبل عاطفة عند الشاعر ، انه تفسير حى للذى يعتلج بين جوانحه عبر عنه الشاعر وأفصح ، ولونه وأبرزه واضحا جليا .. وقد صاحب هذا الشعور العاطفى نزعتان هما : النقد الساخر .. والاباء الأشم .

أجل .. لقد انعكس أثرهما فى الديوان كله - وتجلت شواهد هذا النقد فى كثير من القصائد مثال قصيدة « الآلات العصرية » :

يا صاحبتى ..
صرنا غرباء ..
العالم غير فينا الأشياء
أصبحنا انتاجا خزفيا أجوف
نتشابه حتى فى السقطة
حتى فى الأجزاء المحطومة
نرجو .. لكن ما نرجو لا يتحقق
نغفو فنرى نفس الأحلام المحفوظة
فى كل مساء

وفى قصيدة « الدوار » يحكى شاعرنا مصير الانســان النبيل فى هذا الزمن الضائع ، فى هذا العصر الزائف ٠٠ مصير انسان أحب الخير واخضر قلبه ٠

اخضر القلب ٠ وتفرع أغصانا ، وتمايل أثمارا ٠٠
شدوا

وتحسس أن الدنيا فى كفيه
والشارع مزهو فى عينيه
والنجمة مصباح البيت
والعطر ستار الشباك
والغيمات العتبه

★★★★★

هذا الانسان ، هل يستطيع تكملة السير فى نفس الدرب المضىء ٠٠ ؟ كلا ٠٠

وببطء يلقى نفسه
فى جوف دوار هائل
لكن السوط القاسى يهوى فوقه
يتورم فى أعماقه ٠٠
يلقيه فى طرف من أطراف المحور
لحظات ثم يدور ٠٠ يدور ٠٠ يدور
من حول الكذب ٠٠ القهر ٠٠ الردع ، الأيام المسلوبة
حتى لا يبقى منه شىء
حتى يغدو كذبا ، قهرا ، ردعا ، أيا ما مسلوبه
ويجف الحقل الأخضر فى الصدر

ويموت .. يموت
في أرض يبكي في طرف منها وجه الحب
يتعفن في بستان منها تفاح القلب ..

★★★★★

وهكذا عندما نقرأ شعر عبده بدوى ندرك مدى قوة التصوير وسهولة التعبير مع عمق المعنى وسعة الخيال ، وشاعرنا يصارع الحياة بالكلمات ، الحياة التى شنت حروبها عليه ، وهو يعلم جيدا أن المشكلة ليست فى المبادىء والغايات وانما هى مشكلة وسائل وامكانات .

ولنستمع اليه فى هذه القصيدة البديعة : « نيران الوثنية » وقد وقع الشاعر فى المحظور ، وشعر بلوعة الحب ، ورغم عذاباته فهو ينشد مزيدا من اللوعة والألم .

ما أسعدنى أن لاقانى
فبعمرى نيران وثنية
أشواق لم يحدودب فيها الظهر
أحلام لم تتقوس كالقططه
نبع لم تلمسه شفة ظماى
وعلى أقدامى آلاف الرقصات
وبصدرى كل الأمنيات ..

★★★★★

ولننظر الى هذا البيت : أحلام لم تتقوس فيها الظهر .

وهذا البيت الثانى : وعلى أقدامى آلاف الرقصات وبصدرى كل الأمنيات .

انه تشبيه غير مطروق من قبل ، بكر كالأرض البكر ..

وهكذا الشاعر حريص على استخدام كل ما هو غريب .

ورغم ادراكه ما فى الحب من ألم وشجن وقلق ، فهو الفراشة المحترقة بالنار ، يفضل أن يتناثر فى قلب الحركة . فالجمود لديه موت محقق ويهتف :

فلتمسك كفى ، ولنذهب فى قلب العصر
وعلى كل النجمات .
فلأن نتطاير فى قلب الحركة
خير من أن نبقى فى عش ساكن
فى أشجار الأموات .

★★★★★

وفى قصيدة « تشقق » نفس المعنى ، فكما انه يرفض الجمود وعدم الحركة فهو يريد النار ، النار التى لا تعرف الرحمة ، يريدها لتصهره ، ويصنع منها هذا الشعر الملهم :

لا تطفىء هذى النار
لا تنزل فيها ماء الرحمة
اتركها ترعانى عضوا عضوا ، فكرا .. فكرا ..
فالنار صراطى نحوك
خطوى نشوان اثرك
هى تلهبنى ، تلقينى فى الصحراء
قطرات من حب .. صرخات من ماء ..

★★★★★

وعلى هذا المنوال وبمثل هذه الطلاقة فى التعبير ، يكمل شاعرنا قصيدته هاتفا :

لا تحرمني من فاكهة النار
من موسيقاها فى الأشعار
من قسوتها فى الأفكار
فهى المعراج اليك
لبيك ... لبيك

★★★★★

ومن الملاحظ أن القصيدة عند شـــاعرنا تجمع أحداثا وخواطر مفصلة تفصيلا دقيقا فصاحبها حريص على أن يهيىء للفكرة الشعرية مجالا فسيحا يتيح لها أن تصل من نفوسنا الى الأعماق .

وهو فى كثير من قصائده نجده مضطـــرب النفس ، ثائر الحس ، يحاول اصلاح الواقع مع قليل من التفاؤل وكثير من الحذر .

وفى قصيدة « العصفور الأزرق » نجد أنها صرخة عتاب الى ذلك العصفور المتمرد ، فقد أحبه الشاعـــر « وفـــرط » لأجله رمان قلبه ، وشبك أفرعه فوق ضلوع الشمس حتى يبنى له عشا من الريش الناعم .

وكم طار من قبل ثم عاد واليوم يطير بلا رجعة :

لكنك كنت تفىء الى
تمشى فى بستانى الرائع
تعدو وتنقر فى خصبى اللافح
تتوارى فى عمرى حتى البذره
تصاعد من جذرى حتى الأثمار
تتأمل وجهك فى عينى غدرى
تتوقف عند ينابيعى وتلف على المنقار

تأوى فى ليلى فجرا مشتاق
تصحو من جوهرة فى أعماق الأعماق
تتغلغل فى أغوارى حتى النار
وتثير رقيق الأشعار

★★★★★

ويموت أخيرا هذا الحب العملاق بعد أن بلغ صاحباه ··

أسرار الأسرار
أصبحنا أنوارا فى قلب الأنوار
وتململنا ·· وتثاءبنا
وأدرنا ظهرينا فى صمت قاتل
والبهو يعد علينا الخطوات
وكأنا نحمل شيئا مات ·· شيئا مات ··

★★★★★

وهكذا نرى أن ديوان « الحب والموت » للشاعر الدكتور عبده بدوى يحوى شعرا واقعيا ، يقوم على الفكرة المطلقة، ويجمع الى خلجات النفس السمو الروحى والرمز المحبب الى الوجدان ··

كما تتكشف فيه القدرة على منح اللفظ المعنى المطلوب خلف ستار حريرى الملمس هفهاف ·

ولازلت حريصة على عرض بعض الأبيات التى تظهر أجمل تشبيه وأحسن تصوير فى مضمونها ·

ففى قصيدة « درب » يحكى الشاعر عن دربه القديم

أيام كان وحيدا لا يعرف الحب ويقسارن بينه وبين درب الهوى :

لكن طريقى فى هذه الأمسية
نفق فى نجم ••• تجويف فى أغنيه
ضوء معزوف فى سمفونية
كلمات قد نبتت بجوانبها الأشجار
شمس تتعرى فى قلب الأمطار
عربات •• أطفال •• أزهار
تفريعات من أشعار ••

★★★★★

وفى قصيدة « اللقاء الأخير » يتساءل الشاعر ما الذى أوصلهما الى هذا الحد من الجفاء :

لم يحدث شىء فى تلك اللقيا
الا ما يحدث بين العشاق
لكنى •• أبصرت بفرحة لقيانا شرخا غائر
وجفونا لا ترتاح على الأحداق
ورأيتك والأشواق على الأشواق
ثمرات فراق •• آهات عناق

★★★★★

وحاول الشاعر أن يتحدى ويراوغ موت الحب وأن يضفى الفرحة على هذا اللقاء ولكن عبثا •••

ما أكثر ما أجهدت بلقيانا الكلمات
كيما تتسع التدوير الكامل للشمس
وجميع السيقان الفرحى للأزهار

والزرقة من ايقاع الأمطار
وعصافير النار
والموسيقى من كل الكونشرتات
لكنى حين تعمقت النبرات
أحسست بشيء مات ..

★★★★★

وهناك قصيدة أخرى بلغت ذروة الابداع وهى «الشجرة والعصفور» ويصف فيها الشاعر نفسه على لسان الشجرة وهو يناشد العصفور :

واذا عصفور حط على
شاغل فى الخصب الميت
دق المنقار بغصنى فاخضر
مس الأوراق الكسلى فارتعشت
لا تغمض عنى عينيك
فأنا أورقت الليلة فى أرض الحزن
تاجى ، الجذر ، الساق ، الأوراق ، الأثمار
قلت اتبعنى فغدوت
غرد .. فشدوت
كن نورا .. كنت النور
صر ظلا .. صرت الظل

★★★★★

وتهتف الشجرة وقد أرعبها أن ترى العصفور وقد تهيأ للرحيل بعيدا عنها :

يا هذا العصفور العاشق
فلتنزل في عمرى ضيفا
ولتأكل من أثمار الأشعار
لكن لا تتركنى وحدى هذا الموسم
فبقلبى شىء يمكن أن يعطى
شىء كالشمس بدون غبار
شىء هدار ...

★★★★★

ومثل هذه القصائد الوجدانية كثيرة فى ديوان « الحب والموت » وفى حرية وانطلاق تمكن صاحبها من الاعراب عن تجاربه فى مرونة وأصالة ، مقيدا شعره بنظام موسيقى يقوم على عناصر الجمال من ايقاعات مسايرة للانفعالات . فكان أن أحسسنا من خلال سطور القصيدة بانسجام وتآلف مع أفكار الشاعر ، وامتزجت مشاعرنا بمشاعره الوثابة المتحركة حتى تمنى القارىء فى كثير من الأحيان لو أن القصيدة لا تنتهى كى يظل تأثيرها حيا فى العقل والوجدان .

وليس غريبا على صاحب الديوان هذه الأصالة فى الشعر فهو شاعر ذو مواهب أصيلة ..

ويطيب لى أن أنوه أيضا بقصيدة « اختيار » فهى قمة فى الأداء والتعبير ..

ولما كنا دائما نبشر بأن الشعر الحر قادر على مواجهة مستقبله فى ايمان وثقة فقد برز شاعر الحب فى أدائه « الكلاسيكى » مع عدم اعترافى بهذه التسمية فان الصياغة الكلاسيكية الجديدة أباحت تنويع القافية فى أبيات القصيدة الواحدة .. وتغيير الأوزان والبحور فى القصيدة الطويلة ،

فى سبيل التحرر من القيود ، فأصبح الأمر يفرض علينا أن نطلق عليها « الشعر الحديث » .

أقول ذلك تمهيدا لعرض بعض أبيات من قصيدة « حب فى يافا » وهى من الشعر المقفى على لسان فلسطينى حزين :

فى حضن يافا كان لى بيت كأحلام الزهر
نسجته أفراح الوجود بابرتين من السحر
واليوم قد ضاعت مع النفس البشاشة والصور
يبقى استهال ابومة تقعى على وجه الغطر
من يعطنى أرضى التى صارت بقايا محزنه
من يعطنى من حقلى المنزوع منى سوسنه
لا بد لى من عودة فرحانة عند البكور
فيها أدق الباب دقات ثلاثا فى غرور
ان لم أعش فليأخذ الأشواق من قلبى صغيرى
وليمش فى يافا ليحضن كل ظل .. كل نور ..

★★★★★

وبعد هذا هو الشاعر الدكتور عبده بدوى وهذا هو آخر ديوان له طبع فى مصر .

أحسب أنى طرقت معظم خطوطه وان كنت توقفت طويلا عند خط العاطفة .

وعاطفة شاعرنا هى محور شعره فى مجموعته « الحب والموت » ففى هذه العاطفة وبها أبدع الخيال وبدت الحقيقة مغلفة فى ثوب شفيف يغرى بالتطلع الى الخلف لنستشف الأعماق .

ولا يسع القارىء الا أن يفكر .. ويفكر حتى يهتدى الى ضالته ..

وتلك هى المتعة الكبرى فى هذا الديوان ..

دكتور سعد ظلام فى ديوانه

أدواح وأعـــاصير

عندما بدأت قراءة ديوان « أدواح وأعاصير » للشاعر الدكتور سعد ظـلام ، كنت على يقــين بأنى سألتقى عبر صفحاته بصنف معين من الشعر ·

فالذين يعرفون هذا الشاعر شخصيا يعرفون أن أبرز سماته هى الشفافية والايمان والنزوع الى الخير ·

ثم يأتى بعد ذلك الاقتصاد فى العبارة وعـدم المبالغة ، وقوة التركيز ·

وهذه السمات كلها هى التى دار حولها ديوانه ·

انها مرآة لانفعالات الشاعر بتجاريبه وذكرياته ··

فهى تعد وثيقة قيمة لجوهر شخصيته بما فيها من توازن وصفاء وصبر وقوة فكر وارادة ··

ان هذه المجموعة الشعرية وان اختلفت فى المضمون فانها تشترك فى صدق الاحساس ·

وعلى ذلك فالمتعمق فيها يجد مجالا خصبا لتعرف طبيعـة الشاعر الدكتور سعد ظلام ·

وأول ما يلمس فيها القارىء هى تلك الحساسية المسرفة الثائرة حينا والمتفائلة أخرى مع تواضع ونبل ·

ولقد تخيرت موضوعات منوعة منها الصوفى والوطنى والوجدانى حتى لا أقتصر على نوع بعينه كى أعطى للقارىء فرصة الافادة مع الامتاع ·

والديوان يدور حول مدار واسع رحيب ، ويعج بالأحداث وبحقائق الدنيا الزاخرة بالعواطف السامية ، عواطف العدل والرحمة والتسامح ·

بيد أن قسوة الناس وأخطاء المجتمع ومرارة الذكرى أضفت على بعض القصائد نقدات اجتماعية لاذعة ربما أراد بها الشاعر مداواة الانحراف وربما أيضا أراد بها الترفيه النفسى ·

مثال ذلك فى قصيدة « أنا يا حبيبى عاشق » :

الناس ما حنوا على فطرقت بابك يانبى
الناس قد فهموا الحياة مظاهرا وهوى شذى
لا يؤمنون بما سواه فقدسوا الرجل الثرى
فاذا مشى أو قام أو قد مر أو حضر الندى
وقفوا وحيوا فى جلال ركبه فهو الحفى

ويتساءل الشاعر : ما ضر الناس لو أذعنوا للحق وفاءوا ·· وعرفوا أن المحبة والسلام هما التقدم والرقى · وأن الغنى هو غنى النفس ·

أنا يا حبيبى عاشق وهواك عندى كل شى
وأنا الفقير على المدى وبحبكم أبدا غنى

★★★★★

وتنتاب الشاعر ثورة يأس فى ظروف طارئة وينظر حوله فاذا بالبلبل الحزين يحاكيه صمتا وحزنا ..

حاكت شكاتك فى الحياة شكايتى
وحكى جراحى حالك المتقلب
البؤس وحدنا وآخى بيننا
والأسر جمعنا جراحا تكتب
الحب .. : ها هو فى الحياة ذبيحة
والأمن زور والأمان مصلب
أنا بين أحبابى غريب منهم
وأذل من يحيا الغريب الأغرب

★★★★★

بيد أن الشاعر مؤمن بالانسان المصرى وبطيبة قلبه وبطاقاته الكامنة ، مؤمن بقلوب الأوفياء الذين منحوه أخلص الحب فى عهد صباه وفى المعهد الدينى حيث تلقى العلم فى «كفر الشيخ» فيقول فى قصيدة «أهواك يا بلدى» :

أهلوك هم أهلى وصفوة رفقتى
وأحبتى وهم هم اخوانى
فيهم نشأت .. كسيت من أفراحهم
ورضعت من عطف ومن تحنان
هم أدفأونى كالقطا بجناحهم
وأظلنى فى القيظ قلب حانى
«المعهد الدينى» فيه ترعرت
أوتار قلبى واخضرار بيانى

ورأيت في علمائه كل الذى
أرجو فكانوا لى المنار الثانى
ماذا أقول وكل لحنى منهم
بم قد أفى ؟ وأنا الأسير العانى

★★★★★

وهكذا نرى أن الشاعر سعد ظلام يعتمد فى شعره قبل كل شىء على الصورة الحركية والسمعية مع حيوية اللفظة .

ويبدو ذلك جليا فى قصائده الدينية التى تتوج الديوان حيث يخاطب الحبيب الاعظم فى جلال وخشوع وحيث يفرغ حمولته من آلام وتوترات نفسية ليعرضها أمام ربه فى تلقائية بعيدة كل البعد عن التكلف ..

ولنستمع اليه فى قصيدة « يا رب » :

يا رب انك فى دمى وكيانى
نور أغر يذوب فى وجدانى
أنا يا الهى ان ظمئت فليس لى
الا نداك اذا أراد سقانى
أنا ان مرضت فما الأنام بنافعى
لو شاء رب العالمين شفانى
يا رب ذكرك فى فمى أغرودة
نعمت بها روحى وفاض لسانى

★★★★★

ولقد أفسح الشاعر للرسول الكريم فى حب فياض عارم أكثر صفحات الديوان ، فكان أن أتحفنا بقصائد رائعة مثل « محمد صديق الحياة » و « بشير الضياء » و « النور المهاجر » وغيرها .

ولا غرابة فى ذلك فالدين عند شاعرنا هو احدى الحوافز النفسية التى أضفت على نفسه القلقة أمنا وسلاما ·

وفى قصيدة « ابتهال فى محاريب الضياء » وهى لا شك رائعة الديوان ـ أبدع الشاعر وأجاد ووفق التوفيق كله ·· وهى تحتوى على ثمانين بيتا معبرا عن خوالج النفس البشرية ودافعا لخير المجتمع ·· ولنستمع اليه حيث يخاطب هلال شهر رمضان المعظم :

أشرق على الدنيا هدى وضياء
وانشر على الأكوان منك دواء

واسكب بكل ثنية أو ربوة
أملا يفيض وراحة ورجاء

وتلمس الأجواء ·· أعماها القذى
لا تبعد الأنواء والأضواء

الأرض دونك يا هلال ·· قواسها
أخمد جراحات عظمن وداء

ويتجه الشاعر بفكره الى أمة المسلمين « أحسن أمة أخرجت للناس » وما تعانيه من تمزق وجراح وما تقترفه من ذنوب وآثام :

أنى اتجهت فثم شعب ضائع
عفن الحياة ممزق أشلاء

الدين فيهم كالغريب مضيع
ينأون عنه ترفعا وإباء

ما بالنا والكون فى ذرواته
نمضى فتقذفنا الغيوب وراء

نبنى المنى فى كـــل رابية ضحى
فتهدها كف الخطــوب مســـاء

المسلمون بكـــل أرض ضيعــوا
واحسرتاه ... تفرقوا أهـــواء

★★★★★

وأقبل الشهر الكريم لكن القوم فى جهالتهم حسبوه فتنة ووليمة فيهتف الشاعر فى قصيـدة « ابتهـــال فى محاريب الضياء » :

حسبوك يا رمضان مائـدة تقـــام
لدى الغــروب وسهرة حمـــــراء

كلا وربى .. ما لذلــــك خالقى
فرض الصيام وما بذلـك جــاء

الصوم معناه الـــكبير تســـامح
يدنى القلوب فتلمس الارضـــاء

الصوم أن يهبوا الفقير ويمسحــوا
دمع اليتيم ويرحموا الضعفـــاء

ماذا يفيد الصوم والدنيا هـــوى ؟
وقلوبنا ملئت غـــوى وريـــاء

ماذا يفيد الصوم ؟ جوع منافــق
ولسانــه آذى الورى وأســـاء

ماذا يفيد الصوم ! لوثة عابـــد
وفؤاده بالحقـــد فاض غبـــاء

ماذا يفيد الصـــوم طـول عبـــادة
والقلب يضمر للورى بغضـــاء

ماذا يفيد الصوم ؟ مانع نفســـــه
أكل الحلال ·· ويأكل الفقـــراء

ولقد أطلت فى شرح هذه القصيدة وتلكأت فى وقفتى أمامها لأبرز حقيقة كبيرة هى الكشف عن شفـــافية روح الشاعر أولا ثم ابداء وحدة التجربـــة الشعريـــة واستواء أبياتها وانسجام موسيقاها ·

أجل · ان شعر سعد ظلام مستقل بعيد عن شعر أهـــل الصنعة ·· ان له خصائصه المنفردة وأسلوبه المميز ·

ولم يقتصر الشاعر على التعبير عن مشاعره الصوفية بل شمل الوطن أيضا فى « أهواك يا بلدى » وفى « نحــن نعشق الحياة » وهى فى أعقاب نكسة يونيو وفيهـــــا مزج الشاعر الأمل بالايمان ··

لأننا مع الالـــــــه   ومؤمنون   بالالـــه
مهما طغى الطغـــاه   مهما طغـــا البغـــــاه
لا بـــد أن ننتصر   لأننا مـــع الالـــه

★★★★★

وفى مأساة فلسطين يصور لنا الشاعر أحزان اللاجئين وما يتردد فى حناياهم من مشاعر جريحة كما فى « أمسيات عائد » وهذه القصائد الوطنية هى ثمـرات توازنه النفسى ونضج شخصيته وتجاربه الصادقة ·

وفى قصيدة « أين الطريق » فى مؤتمر البحوث الاسلامية المنعقد فى رحاب الأزهر يهتف الشاعر وقلبه يكاد يطفــر فرحا وحبا :

أحبابنا ··· انى أتيت وبى هوى
وفـــؤادى الحـــانى أتى يستـــاف

تتعانق الآمـــال بين جــــوانحى
وتغرد الأطيــــار والأطيــــاف

يا مرحبا بالمســــلمين يضـــمهم
فى قبلتيه « الأزهر » المضيـاف

نادى قلبى الصـــــادقون وأحرموا
وسعوا لــه مثل الحجيج وطافـــوا

★★★★★

وعلى هذا المنوال تسير القصيدة بايقاع لفظها المتوائم ورجعه المستحب ..

يا أزهر الأمجــاد يا مهـــد السنا
يا خير ما أبقى لنــا الأســلاف

طوبى لعمرك فى الوجود مخلـــدا
يا كم تقــاس بعمـــرك الآلاف

جاهدت كالمصــــباح أقبية الدجى
وزرعت فيها النـــور وهى عجـاف

مرت عليك الحـــادثان ولم تهـن
حتى طواها السـير والتطـــواف

★★★★★

واضح اذن مما سبق ذكره أن ديوان « أدواح وأعاصير » يعتمد على الصياغة التقليدية من ناحية الأصالة والجزالـة والأناقة والسير على النهج التقليدى وان لجـأ الشــاعر فى الوقت نفسه الى الروح المعاصرة الوثابـة المتحركـــة والى المصطلح اللغوى السهل المتساوق مع الحياة المحاضرة .

وكما يلجأ الشاعر الى السلاسة وتنوع الموسيقى وتآلفها مع الفكرة فى مرونة وحيوية ·

يبتعد أيضا عن الصور الضبابية التى تتطلب الجهد والحيرة فى الكشف عن الغموض الذى يغلف قصائد بعض الشعراء ·

لذلك لم يعد هناك مجال للملل أو التململ عند قارىء هذا الديوان ·

ان القصيدة تدور حول موضوع بعينه لا تخرج عنه والموضوع يعبر عن فكرات مترابطة قوية ·

كل ذلك فى نضج فنى أصيل ·

بيد انى لاحظت أن الشاعر سعد ظلام لا يعترف بجمال الطبيعة ذلك لأنه لا يعترف بالطبيعة أصلا ··

لقد نسيها تماما فى مجموعته الشعرية التى هى ترمز فى عنوانها « أدواح وأعاصير » الى ما تحوى الطبيعة من خصائص ذاتية ·

وهذا هو المأخذ الوحيد الذى نأخذه عليه ··

والا فأين سحر الغصون والزهور والجداول ·· ؟ أين أغانى الطير والندى والشذى وكل ما يجعل الوجود نشيدا مقدسا تباركه السماء قبل الأرض ··

أليست الطبيعة هى الأخرى من عمل الخالق الأعظم ·· ؟ وكيف لا ونحن نذيب فى أعماقها المتوهجة شجوننا ونرتفع فى حماها فوق ضغط الحياة ووطأتها ·

أقول ذلك لأنى أرى فى أعماق الطبيعة ما يتصل بواقعية الديوان بما فيه من بذور رومانسية متوغلة · نلمسها فى

شعره الوجدانى العذب الرقيق حيث يكشف لنا الشاعر عن أدق خلجات قلبه فى صدق صادق ·

وسط تهويمات خيالية توحى بقدرة الشاعر على وصف الطبيعة فى سهولة ويسر ·

وقد لمسنا رومانسية قصائدة فى « أمـــاه » و « سحر » و « ولد الهوى والحب » و «الى ولدى» وكلها قصائد وجدانية ذاتية حيث يقول فى قصيدة « أماه » :

أمــاه : تلـــك محبتي شيعتهـــا
ودفنت في مثواك كـــل رجــائي

ودفنت في برديـــك أسمى منيــة
كانت تغــرد في شفيف ســمائي

الناس كـــل الناس في مغنـــاهم
وأنا أهــلت الترب فـــوق غنــائي

★★★★★

ويقول الشاعر فى قصيدة « سحر » حيث يهدى شعره الى ابنته وأدفأ حب وأحنى انسان وأولى أنغام اللحن وأطهر آيات الحياة :

أحبك يا حلم أحلاميـــه — وخفق فـؤادي وايمانيـه
وياجنتي وربيعي النضـير — وأزهار عمري وأوراقيـه
وياكل ما أرتجي في الوجود — وتصــبو لمـرآة آماقيـــه

★★★★★

وأما قصيدة « ولد الهوى والحب » فيهديها الشاعر الى زوجته الوفية الطيبة ويهتف فى حب واعتزاز :

دنيــاى يا أملى ويا أفــراحى
يا فجرى الحانى وشمس صباحى

ما كنت أدرى قبل حبك ما الهوى
ما النور ٠٠ ما هذا الجمال الضاحى

كانت حيــاتى لا تنير ولا ترى
وكأنهــا بيت بـلا مصــباح

وحدى مع الأيــام لا خــل معى
أشكو له همى ولســع جراحى

وقد وصف الشاعر حياته قبل لقــائه بالزوجة وصفــا طريفا صادقا فخرجت لنا القصيدة رافلة فى أبهى صــور النجاح ووفق الشاعر فى انتقاء ألفــاظها وفى التعبير عــن أحداثها الحية المعاشة ٠٠

وأجد نفسى مازلت مســاقة الى عرض بعض أبيات منها ويصف الشاعر كيف كان يعيش وحده الا ٠٠ مع :

الا بقــايا مــكتب ويراعــة
وقصائد عجزت عن الافصــاح

وجرائد صفراء غيرهــا البـلى
من طول ما لاقين من الحــاحى

وكتيبــات من هــناك ومن هنــا
قد بعثرت بــددا بكل نــواحى

ولربمــا طلــع الصباح ولم أزل
يقظان أشكو وحــدتى لصباحى

ولقد يمــر الشــهر ليس يزورنى
فى منــزلى روح مــن الأرواح

حى .. ولا حى وبين جـــوانحى
عض النيـــوب كمبضـــع الجراح

ثم يشرق على شاعرنا فجر جديد وتهل الزوجة :

وأتيت كالأحـــلام يحرســك الهـــوى
وتحوطـــــك الآمال كالأفـــراح
جادت بـــك الأيـــام وهى بخيلـــة
وشدت بك الدنيا عـــلى أدواحى

★★★★★

وبعد مازلت أقول ، انها خطوط عامة لصورة الشاعر سعد ظلام تتطلب من القراء ابرازها على حقيقتها فى ألوان ثابتة .

ان ديوان « أدواح وأعاصير » يعـــد ذخيرة طيبة وصورة صادقة لمشاعر صاحبه ..

فيه قوة وفيه عمق يشـــهدان له بالموهبـــة والأصالة .. ويشيران الى شاعر يكتب الشعر لأن روح الخلق والتأمـــل تسيطر عليه كفنان ملهم ..

أخرج لنا من أعماق وجدانه ما يثبت ذلك .. فأضاف الى المكتبة العربية مازادها اثراء ببديع النغم ..

دكتور محمد عبد المنعم خفاجى

في ديوانه « أشواق الحياة »

عندما يكون الناقد لدراسة أدبية ما « سيدة » ويكون المنقود « رجلا » وعندما تكون هذه السيدة شاعرة لا تملك غير عدة مجموعات شعرية بينما المتلقى نقدها كاتبا وأديبا قد صال وجال فى عالم الأدب وملأ المكتبة المصرية بمئات من المؤلفات الضخمة القيمة ٠

ما الذى ـ اذن ـ تستطيع قوله تلك المقتحمة ابراج هذا الأديب ؟

غير أنى أستطيع أن أقول الكثير بعد أن قرأت ديوان « أشواق الحياة » للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى وأن أمضى فى مقالتى دون تردد ٠

فالديوان هو الذى يهيب بى أن أكتب عنه ٠

وديوان « أشواق الحياة » وان كان يعد الانتاج الشعرى السادس لصاحبه غير أنه يعد الديوان الأول فنا وأصالة ونضجا ٠

« هو القفزة الأولى لصاحبه نحو القمة
وهو الوليد الذى جاء الحياة معلنا ميلاد والده »

واليوم ، اليوم فقط يستطيع كل قارىء للديـوان أن يشير الى صاحبه « هذا شاعر » وشاعر كبير •

فلقد عرفنا جميعا دكتور خفاجي أديبا أمينا فى بحثه دقيقا فى نقده ، رائدا يجمع بين النبوغ الأدبى الأصـــيل والثقافة الواعية العميقة ، مع غزارة فى الانتاج بلغت حد الدهشة مما جعل اسمه لامعا وسط الحقل الأدبى بحصـــاده الوفير الجيد •••

انه حصاد متنوع الألوان ، ذو قدرة كافية على التقدير وطاقة واقية على التبرير ولكن •• أجل ولكن •

ترى ما الذى جرى للخفاجي صاحب المئات من المؤلفات النثرية كى يميل أخيرا بكل ما فيه من قوة نحو الشعر •• ؟

فنظرة اليوم الى دواوينه المتتابعـة تجعلنا نعترف أخيرا بشاعريته بعد أن ظلت طويلا متوارية وراء الغمام •

نعم •• لقد حدث انقلاب خطير فى شعر الخفاجى •

وديوان « أشواق الحياة » خير دليل على هذا الانقلاب • فكما تغيرت اتجاهاته ونظرياته تغيرت أيضا موضوعاته ••

لم يعد شعر الخفـــاجى يعتمد فقط على الرصـــانة والجزالة بل انتعشت فيه الروح الوثابة المتطـورة وصفقت فى سمائه الطيور المجنحة المغــردة ورقصت على سطـــوره الموسيقى بعنفها وهدوئها وأنغامها المتعانقة ••

ومجمل القول • لقد بلغ ديوان « أشواق الحياة » درجة من السمو الفنى ما أغرانى أن أكشف عن وجهة نظرى فيه ولعلنى بذلك أسهم فى امتاع القـــارىء ببعض أبيات من شعره •

وأول ما يصادفنا فى هذا الديوان تلـــك القصـــائد

الوجدانية العديدة التى احتلت ما يقرب من نصفه وهى فى الحق قصائد فنية رائعة ولعل جمالها ينبع من صدق تجارب الشاعر ورقة احساسه ·

لقد نزع الخفاجى أخيرا ذلك القناع الدائم وألقى به بعيدا عنه حتى يتمكن من استعادة ذكريات شبابه بما فيها من لوعة وأمل ووصال وفراق ·

كل ذلك فى جرأة وحماس غريبين علينا فخرجت تلك القصائد عارمة ، هادرة ، مشبوبة تفيض جمالا وعذوبة ·

وكنت أحب أن أقف أمام رائعة الديوان وهى قصيدة « أيام وأحلام » غير أن الناقد الكبير الأستاذ عبد العزيز شرف تكلم عنها ما فيه الكفاية فى مقدمة الديوان ولعلنى أستطيع فى مجال آخر أن أتكلم عن قصائده الوجدانية « صدى الذكريات » و « شقاء الحب » و « صوفية الحب » و « فلسفة الجمال » وغيرها حيث لم يترك الخفاجى صغيرة ولا كبيرة الا دونها شعرا ··

ولنستعرض بعد ذلك أجمل وأغلى ما فى الديوان وهى القصائد الدينية السامية التى تتحلى بها المجموعة ·

لقد ضمت كل المناسبات الدينية الجليلة ففى قصيدة « انسان القرآن » يقول :

اقرأ ·· وتهتز السماء بقولها
وحى من الله العزيز الأكرم
ياليلة الوحى العظيم ، عن الرسالة
والرسول ·· عن الكتاب تكلمى

ثم فى قصيدة « انسان الاسلام » :

عاش في الناس ثريا بالتقى
ومشى فيهم بذكر عطر

مسلم فوق العلا جبهته
خاشع في عزة المنتصر

بين يمناه كتاب نير
يالآيات الكتاب النير

كان كالواحة في البيد يرى
كان كالظل بواد مقفر

★★★★★

ويتجه شاعرنا الى الهجرة حيث يقول في « موكب علوى»

هجرة مثلت جهاد نبى
وأمين على الهدى مهدى

وبها كل عزة وجلال
برسول مكرم يعربى

هجرة كانت للرسالة نصرا
يالهذا النصر الجليل السنى

هجرة مزقت قناع الدياجى
وأعزت نفس الفقير الشقى

★★★★★

ويتوقف الشاعر قليلا وقد أحس أنه عاجز عن اهداء هذه الهجرة المباركة حقها فى البيان فيهتف لقلمه :

لا تقل شيئا .. كل ما قلته
دون علاها وحقها العلوى

انهـــــا الصفحـــة المضيئـة فى
التاريخ تهدى الى الهـــدى كـــل حى

لا ورب الجـــــــلال انى عيى
وبيـانى يا قـــوم جـــد عيى

★★★★★

وعلى « جبل عرفات » يناجى الشاعر أجمل ساعـــات حياته :

عرفات يا أمـلا بـــه الأيـــام
تحلو .. ومنه الوحى والالهـــام

عرفات .. أنت العطر يعبق والهـدى
والمجد والأنغـــام والأحــــــلام

يا شوق أيامى اليـــك وحبهـــا
عام نودعـــه ويقبـل عـــــام

وتمر بالشاعر ذكريات عرفات ويشعر بالحنين الطاغى الى العودة للمكان المقدس ويهتف وقد خيـــل اليه أن سفح الجبل أمام ناظريه وقد ماج بالشذا والبشاشـــة كعادتـه فيتساءل :

ووقفت أدعو والدمـــوع تنوشنى
أحقيقـة هى أم هى الأحــــلام

وأفقت من حلمى وبين جـــوانحى
من نار حبك والزمـــان ضرام

أألام يا عرفات فى حبى وتهيـا
مى وأشـــواقى .. وكيف ألام

لا والــــذى ســـار الحجيج لبيته
ما فى هواه على المحب مـــلام

★★★★★

ولقد لفت نظرى فى ديوانه « آشــــواق الحياة » كثرة الشكوى من الزمن والانسان وكان يخيل الى دائما أن صاحبه قد خلا الا قليلا من هموم الحياة أو بالأحرى رضى بحظـه منها ٠٠ فكثيرا ما أراه باسما وقد سكن الى حـكم اللــه ايمانا وتقوى ٠

فلنستمع اليه فى قصيدة « سراب » ولنر كيف استهلها بهذا البيت الموسيقى الرائع :

وى لأمسى ولأيـــــــامى وى
ولليالى ونهــــارى العبقـــرى

المنى ٠ كــل المنىٰ قــد ذهبت
وتـــلاشت بـــــددا من راحتى

وبقايا الحــــلم كانت بيـــدى
أين ما كان قريبا من يــــــدى

وسراب كــــاذب يخـــــــدعنى
كلـــما سرت ويعشى ناظـــــرى

★★★★★

ان ديوان « أشواق الحياة » مغلف بالأسى ومرارة الحزن والتبرم من الحياة ، ففى قصيدة « هموم الفــــكر » يثور شاعرنا على أخلاق العصر :

بكيت ويضحك القـــــدر ونمت وغيرنــــا سهروا
وقلت مناجيـــــا نفسى لماذا كـــــان لى بـــصر

لماذا كان لى عقـــــل   لماذا كان لى نظـــــر
لماذا منطق الأشيـــــاء   مقلـــــــوب ومبتسر
لماذا عشت فى زمـــن   جميع أموره عبـــــر
تراد ولا نريـــد ويسر   كـــــل حيـــاتنا عسر
وقيـــل لبومها غــــرد   وقيـــل لتربهـــا درر
لماذا رب كل النـــــاس   بالأوهـــام قـــد أسروا
لماذا رب كل النـــــاس   ليس تردهـــم نـــذر

★★★★★

وشعر الخفاجى فى ديوان « أشواق الحياة » يجمع الى الامتاع والافادة والتوجيه فقد تناول الكثير من الأغــراض الاجتماعية والموضوعات المتصلة بالوطنية ٠

وقد تمكن من التعبير عن حقـــائق دنياه فى مـــرونة وحيوية فوفق فيه الى الابانة عما يجيش فى صدره من آمال وآلام ٠

وهو شعر واقعى شـــامل صريح لا يعـــرف الغموض ولا الصور الضبابية التى تتحدى ذكاء القارىء ٠

وهو هنا بكل بساطة وسهولة يقول فى قصيدة « الوداع الأخير » :

أو أنسى ٠٠ اننى لست أنسى
ماضيا أشرق فى الروح شمسا
عشت فيه ثم ولى وأمسى
كحديث خافت ضاع همسا
اركنى للصمت يا ذكرياتى

انت نور فى دجى امسياتى
بين أحلام المنى الماضيات
كل شيء قدر يا حياتى

★★★★★

ومن موضوعاته المنوعة المليئة بالتجارب الحية قصيدته « أقتات السراب » وهى موجهة الى والده المتوفى فيقول :

مازلت أذكره هنا ... وكان ذكراه المنى
ولى كما ولى السحاب وكان شيخا مؤمنا
وبكيت فى فرح الشباب أبى الحنون ويتمنا
وتثير ذكراه الدموع وكم يجدد جرحنا
وأقول فى أسف فداؤك يا أبى .. ياليتنا ..

ويتذكر والدته وتثير الذكرى شجونه وهو الانسان المرهف الاحساس :

أماه : لا هم ولا حزن
مثواك دار المنتهى عدن

أنت التى عشت الحياة كريمة
ورمى بفقد شملنا الزمن

أماه كنت لى الحنان جميعه
وبك الرضا والعطف والسكن

يا كل أحلامى وكل رؤاى ما
للعيش بعدك والمنى ثمن

كل الخلال تمثلت علوية
فيها وكل صفاتها حسن

.. وهكذا هى الأم مهما كبر الأبناء ستظل ذكراها عطرة فى أذهانهم وقلوبهم بقـــدر ما أعطت وبـــذلت من الحب والتضحيات .

وبغتة يتذكر الشاعر ولده الوحيد فتتربع السكينة فى صدره ويتسرب العزاء ويمتلىء أملا بالحياة فيهتف :

مشرق اليمن والمنى والســـــعود
وسنا النور فى ظـلام وجـــودى

فى وجـــود مكبـــل بقيـــود
وقيود بلا مـــدى أو حـــدود

وحياة يفـــزع الجـن منهـــا
من رؤى وجهها العبوس الشديـــد

★★★★★

بلى .. فقد أشرق الكون بميلاد « ماجد » وعانق والده كل أمانى الحياة وزهو العمر ....

ماجد : يا ضوء القمـر   يا فخـر يومى المنتظـــر
واحـــة آمـــالى أنت   فى متاهـــات السفـــر

وجئت كالمنى وكالنصر   أتى عـلى قـــــدر
كالشمس بعد الزمهريـر   كالشذى عبر المطـــر
وصرت يا ماجـــد فى   جيدى عقـدا من زهـــر
واعشوشبت بك الحيـاة   وارتوى بــك الثمـــر
واخضر عشنا وكـــان   العش مجـــدب الصـور

ويهمس الأب فى سمع وحيده بقصته كلهـــا فى أبيات تفيض رقة وعذوبة ، وانه لشىء جميل حقـــا أن يعترف الوالد لابنه بما قاسى قبل مولده ، وانه لشىء جميل حقا أن

يدعو له بكل ما كان يتمناه لنفسه من أمـل فى دنيـــاه فيقول :

دنياى يا ماجد كلها فصول من عبر
قطعتها بالصبر والعقبى لمن فيها صبر
واشتد بى العسر وضقت ضقت ذرعا بالغير
وعشت ، عشت فى لظى جحيم عمرى المستعر
حتى أتيت كالضياء فى دجى عمرى سفر
فكنت متعة السنين بل ربيعها العطر
انسان عينى ورؤى الروح وبهجة البصر
كل المنى والحظ والغد المعطر النضر
وكل ما أحب من يمن وعز وظفر
وكل ما عجزت عن تحقيقه من الخير
أدعو بأن تكون لابنى فى العشى والبكر

★★★★★

ولقد حرصت حين بدأت الكتابة عن ديوان « آشـــواق الحياة » على النظر اليه من جميع زواياه فى دقة واعتدال رأى بعد قراءة واستيعاب .

لذلك لم أصب اهتمامى كله على الناحية الجمالية بـل تعديتها الى المضمون وقوة الأداء بجانب الموضوعية ، فالشاعر الخفاجى يعد أحد أبناء مدرسة « ابوللو » التى لها خصائصها ومقوماتها غير أنه أكثر ميلا الى الأقدمين ، ممسك بأوتار الشعر فى أزهى عصوره من حيث قوة الصياغة وجزالة اللغة ووضوح المعنى ومراعاة الأنماط المختلفة من تراثنا القيم .

ولذلك فليس هناك من خوف مطلقا أن يضيع الديـوان

في زحمة الكتب التى تملأ الحقل الأدبى دون أن يجد الناقد البصير الذى يكشف عن قدره وقيمته ٠

فالديوان أولا وأخيرا يدافع عن نفسه ويشق في وثوق طريقه بلا حرج أو تردد ، يحدوه الصـــدق والايمان به ، فشاعرنا لا يكتب غير ما يفيض به خاطره ووجدانه ، والدليل هو تلك العاطفة المحتدمة التى تنبض فى كل ما يصادفنا من قصائد ٠

ويعتز الشاعر بالأزهر الشريف ، الأزهر الذى هو صوت مصر فى صدى طلابه ، والناطق بكل حكمة وهداية ، فمن الطبيعى أن يلهج بالثناء عليه حيث يقول :

فى كل ركن من جـــوانبك العـلا
شمس تضىء وكوكب بك نيـــــر
حرم الكنانة قد حميت زمارهـــا
ودفعت عنها ما يذل ويقهـــــر
حجت اليك من القرى أحلامهـــا
ومن البـلاد شبابهـا المتخيـــر
والـــدين لم ينشره الا فتيـــة
نشأوا بروضـــك مونقا وتبختروا
أدى الأمـــانة من ذويـك جماعـة
ودعا بروحـــك منـــذر ومبشر
نصروا الفضيلة اذ أذاهـــا عابث
نشروا الرسالة اذ طـــواها معشر

ومن النماذج التى أبدع فيها الشاعر حين وجه النصح لشباب الجيل فى قصيدة « الى الشباب المصرى » حيث قال :

شباب الحمى : مجد الحمى لا تذله
يد الأسد الضارى أو الطامع الوغد

أقيموا على الأحداث صفا موحـــدا
يرد ظباه الظالمين الى الغمـــــد

شباب الحمى • ذودوا كراما عن الحمى
ولا تهنوا فالذل أجـــدر بالعبـــد

أصيخوا لداعى المجـــد اما دعاكـــم
ولبوا نداء النيل فى صولة الأسد

وئاما بنى قومى فان اختلافنـــا
خسار ،واخلاصا على النحس والسعد

وبعد • فما زلت أقول : ان الخفاجى أديب كبير قبل أن يكون شاعرا وقد استنزف أيامه فى مزاولـة الأدب فى أسلوبه النثرى مما أكسبه أتقانا وبراعة وأصالة ، فلمـا زاول الشعر وتمرس جاء ديوانه « أشواق الحياة » وفيه من شفافية الروح ما جعل قارئه يكاد يرى صاحبه من خـلال السطور •

ثم بعد ••

فان كان الشعر ــ كما يقول الخفاجى فى نهاية ديوانه هو روح الشاعر ونبض قلبه وحديث وجدانه •

وان كان الشعر ــ كما يقول صاحب الديوان ــ هـو الخلد والأعماق والتراث الباقى لصاحبه ••

فهنيئا لنا نحن القراء فقد ضم ديوان « أشواق الحياة » أعز ما يملك وأغلى ما يقدم لنا الشاعر الـكبير الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ••

★★★★★

الشاعر كمال النجمي في ديوانه

الأنداء المحترقة

يقولون : انه شاعر هادىء صامت خجول ..

أما أنا فبعد قراءتى مجموعته الشعرية « الأنداء المحترقة » .. أستطيع أن أقول : انه انسان فى أعماقه ثورة .. ثورة كامنة .. ومع ما يسود الديوان من حب مشبوب جارف ، بل ورغم هذا الحب الجارف ـ فهناك حزن عميق يسرى فى كل بيت من قصائده وهو يعترف فيقول فى قصيدة « أشواق » :

يا طائرا يتغنى فوق أيكته
غناء ذى حرقة فى الصدر ثكلان

من علم الطير حب الطير فاحترقت
به .. كحرقة انسان بانسان

وقد يكون الحب أحد أسباب هذا الطابع الحزين فى شعر شاعرنا كمال النجمى فالحب عنده احتراق ، ولكنه ليس السبب الوحيد .. فهناك عوامل عديدة تشابكت والتحمت وأدت بالشاعر الى هذه الثورة السجينة .

ثورة . ؟ أجل وانها لثورة فى قلب فنان خجول صامت

رزين .. ثورة من نار تتأجج الى الأبد . ويترامى على جانبيها صراع قاتل ..

وانها لمعركة يخوضها الشاعر بين حبه للخير والنور والحرية ..

وبين ما يراه أمامه من عرق ودموع في جانب وظلم واستغلال فى الجانب الآخر

ويتراءى أمامنا الشاعر وفى يده مشعله يحاول به أن يعيد الى الحياة اشراقها الساحر ..

ولكن .. عبثا يستطيع ، وينتابه اليأس ، فيعود الى نفسه لينكمش داخلها فلا يرى غير ذاته . وعند ذاك .. تبدأ رحلة الكلمات .. ويمضى فى رحلته وهو يخوض بحارها الواسعة ، فى ارادة عنيفة ، تكاد تقصف فى عنف بكيانه وينتهى به الابحار الى شاطىء الذكريات حيث الراحة ..

والذكريات عند شاعرنا تأخذ عليه كل حياته فيستعرضها كتابا مفتوحا ، يقف أمامها وقفات طويلة ، ممعنا فيها .. ساكبا أحاسيسه فى خيال شعرى أخاذ وطاقة عقلية ناضجة وعمل فنى ممتع .

واذا كان الشعر مجموعة أحاسيس الحياة فهو عند الشاعر الكبير كمال النجمى شعور عنيف بالتجربة التى مر بها وانفعال نفسى أثارته الأحداث والأشخاص فانبعث خاضعا لكل ما استوحاه مبرزا فى قوة اللغة السليمة القوية .

فالشاعر أولا وأخيرا حريص كل الحرص على الاحتفاظ

بالقيم الفنية فى شعره ، دائب على تركيزها ، مجددا فيها ومقويا روح الايمان بالمثل العليا والفضائل الكريمة ·

والواقع ان صاحب ديوان « الأنداء المحترقة » جمع فى شعره كل ألوان الجمال فى الشعر القديم من روعة الأسلوب وبلاغة العبارة وسمو المعنى ، آخذا من الجديد خصائصه الخصبة وتصويره الغنى وشاعريته المصرية ·

ولقد أغرانى الديوان بمضمونه فشئت أن أكشف مدى ما فيه من رقة الأثير ، وأنغام الغدير وأن أقنع بالعرض القصير وان كان صاحب الديوان لا يقنع بالوصف العابر بل يميل كل الميل الى الوقفة العميقة المتأنية فى كل قصائده، رغم أنه لا يحاول فى حياته العادية أن يظهر نفسه أو يعلن عن شعره أو يقف أمام الضوء فنتج عن ذلك أن سبقه فى طريق الشهرة من هم أقل منه فنا وشاعرية ·

وهكذا هى الحياة ··

فالشاعر الرقيق كمال النجمى من الشعراء الموهوبين على الرغم من قلة انتاجه وديوانه هذا الوحيد هو الذى يمثل شاعريته وما يختلج فى فؤاده من آلام وآمال ، وما كان يتمنى من أحلام تتحقق ·· وفى الديوان قصائد كثيرة من الشعر العاطفى وهنا نجد أسلوبا غنائيا لم يكتشفه ملحن بعد رغم ما يتمتع به شعره من جرس عذب وموسيقى منغومة تؤهله للغناء ·

وهى قصائد حب نبيل وهو عذرى طاهر ·· وتقع بمنزلة الشاعر الى مجال الفن الراقى ·

وفى رأيى أن هذه القصائد الوجدانية هى أكثر شعر الشاعر روعة وسحرا وجمالا ·

ولنستمع اليه فى قصيدة « روحانية حائرة » وتعد من

أكثر القصائد تعريفا بروح الشاعر وما انطبعت عليه من نبل وصفاء :

أليوم أبصرت السبيل أمامي
وفرقت بين الحسن والأوهام

أخلصت فى الحب الطهور فلم أصب
معنى من الحب الطهور السامى

ونشدت روحا فى الغرام فلم أجد
الا هوى الأجسام للأجسام

فسترت روحانيتي وحفظتها
ذكرى حبيب ذاهب وغرام

★★★★★

وهى فى حبه قلب أبى كتوم ، يخشى على فتاته أن يخدشها النسيم الجارح ، أليس هو القائل فى قصيدته :

ولقد حفظت هواك حين حملته
وكظمت نار الوجد بين ضلوعي

وكتمت حتى لو بكيت لما درت
عيناى أنى قد سكبت دموعى

تشبيه وأيم الحق جميل بديع وبيت من الشعر لا أظن انه قد طرق من قبل .

والشاعر كمال النجمى صاحب ديوان «الأنداء المحترقة» هذا الفنان المنطوى على نفسه ، الحامل براكين حب واعجاب للجمال الأنثوى ، نجده يفيض نشوة حين يصف حبيبته عن خبرة ومعرفة فيقول فى قصيدة « معانى الغرام :

قيـــل من تهـــوى فقـــد خلدتهـــا
في بيـــان ذى جمال وجـــــــلال

ان أصفهـــا فغـــزال أغيـــد
لفتاة ·· أو فتـــاة فى غـــــزال

وعيون ذات نـــور ··· وفـــم
ذو عبير وقـــوام ذو اعتـــــــدال

وحديث تســـكر الـــراح بـــه
هو ربى حين أصـــدى وثمـــالى

هى أحـــــلام فـــؤاد عاشـــق
شاعر قد كان يهفـــــو للجمال ··

★★★★★

وأما فى قصيدة « أنت » فقد أبدع حين قال :

أنت حبى من قبـــل أن يعـــرف
الحب فؤادى ، وأنت حلم حيـــاتى

والذى كان من خفـــوق ومن سهـــد
وشـــــعر يفيـــض بالحسرات

لم يكن ـ حين كان ـ الا حنينـــا
لك عنـــــدى يطـــوى بى السنوات

والتقينـــــا · فالف الحب منـــا
خلجات الضميــــر والخطـــــرات

واحتوانا الهوى فـــكنت أنـــا
أنت كأنى جمـــعت ذاتى بـــذاتى

★★★★★

ويخشى الشاعر أن تظن حبيبته أنه أحب قبلها وهو لا يعترف بحب أحس به قبل أن يراها فيقول :

لا تقولى أحب قبلى فانى
كنت قبل الضياء فى الظلمات

انت من قبل فى الغرام ومن
بعد .. وأنت الماضى وأنت الآتى

★★★★★

وعندما يتحدث الشاعر عن نفسه نجده يتعرض لحياته فى واقعية صادقة ، يدفعها تحت أنظار القارىء بالصورة التى يراها مطابقة لمزاجه الحزين المتشائم :

أنا روض صوحت أزهاره
وشهاب ما بدا حتى خبا

وفى قصيدة « آلام شاعر » يصف الشاعر حياته فى ايجاز وفى أبيات ثلاثة فيكشف عما يحس من شجن :

غنيت حتى قطعت أوتارى
ومضت كاصداء الدجى أشعارى

وأضعت وحى عواطفى فى معشر
قدت عواطفهم من الأحجار

وأضأت كالمصباح أبذل جاهدا
نورى .. ولى دون البرية نارى ..

★★★★★

والآن نستطيع أن نقول ان ديوان « الأنداء المحترقة » للشاعر كمال النجمى يحوى كل خصائص الشعر الجيد ونحن نعرف أن خصائص ومقومات الشعر تكمن فى :

أولا : حرية النفس ‥ وقد استطاع شاعرنا أن يكتب ما يريد دون حرج أو تردد ·

ثانيا : البيان ‥ والبيان هو المقـدرة على التعبيـــر عما يخالج الشاعر من أحاسيس فى مواقفـــه التجريبيـة · كالعناية باللفظة ‥ والتأكد من معناها وموضعها ، والالمام التام بما تحويه من تأثير ، والدقة فى اختيارها ·

وأهم ما يجب الحرص عليه ‥

وهو ضرورة لا معدى عن الأخذ بها ولا سبيل الى تجاوزها فالكلمة التى لا يفهمها القارىء انما هى كلمة « ميتة » كمـا يقول المفكر « بول برونتون » ·

وهذه العقبة أدركها شاعر « الأنداء المحترقة » فجعلنـا نعرف مفاهيمه الشخصية والعامة لمعانى الحياة ·

ثالثا : الصدق · وهذا الصدق ظاهر جيدا فى كل بيت من أبيات المجموعة بل فى كل حركة أو كلمة أو اشارة ‥

ونماذج الابداع كثيرة فى هذا الديوان فصاحبه شاعر بليغ الأسلوب ، رصين الأداء ، مهما تغير مضمـــون القصيدة وطريقة نظمها ــ جديدة كانت أو قديمة ·

فالماضى والحاضر سيان فى قيمة الأثر الفنى على مرور الأيام فليس الشعر ثوبا يبلى ويخلع ·

وعلى ذلك يكون الشعر الجيد لازمان له عند الشاعر ·

والذى يريد أن يقرأ حياة الشاعر كمال النجمى بكـــل ما فيها من عوالم قد تعد غامضة يجب أن يقرأ هذا الديوان ·

فلننظر مثلا اليه كيف يخاطب ابنته ليلى يوم مولدها :

انه يحس نفسه خفيفا مثلها ‥ لقد نفض مولدها عنه

عبء الوقار الذى يحمله على كتفيه ارثا من أرض الصعيد الجادة ٠

ومع مولد الابنة نسى الوالد أحزانه تلك الأشياء التى تلازمه كظله :

ليلاى جاءت بعد طول انتظار
لؤلؤة بين الليالى الصغار
تبدأ فوق الورد أيامها

ولدت فيها يوم ميلادها
فصرت طفلا بين صحبى الكبار
لا أحفل الدنيا وآلامها

ليلاى ردت لى مراح الصبا
وخففت عنى عب الوقار
كأننى أحلم أحلامها

★★★★★

ولم ينس الشاعر أهله وأصدقاءه الراحلين فرثاهم جميعا فى شعر صادق باك فى قصيدة « أحزان » وهى رثاء الى عمه وقصيدة « شاعر » فى ذكرى على محمود طه وفى قصيدة أحمد محرم وغيرها وكان نصيب « أسمهان » المطربة الكثير من شعر ، ومنها يقول ويحكى كيف سقطت سيارتها فى حفرة لسيل غامر وكيف أخرجوها بلا حياة ٠٠

أسمهان قصة ان تليت
ملأت قلب الليالى عجبا

قد بكيناها هزارا هامدا
كان ان غنى بكينا طربا

طلعت من دارهـــا باكـــرة
ما درت أى قضـــاء كتبـــا

تنشد البحر لتنسى برهـــة
محنـا جـــرن عليهـــا حقبـــا

وسـعت جـــذلانة ضـــاحكة
مثلما تضحـــك أزهـــار الربى

تنهب السبل على سيـــارة
صنعت نحســـا على من ركبـــا

وقف الفـــن حزينـــا والهـــا
يذرف الأدمع حتى نضبـــا

نكب الفـــن بـــرزء فـــادح
جاوز النيل فعم العربـــا

★★★★★

أما قصيدة « أبى » وقد توفى والشاعر بعيد عن قـريته « أولاد نجم بهجوره » حيث كان يدرس فى ثانوية قنا · يقول فيها :

دنيا تمام أمورهـــا نقصـــان
نفنى فلا دمع ولا أحـــــزان

آمنت بعـــد أبى ولم أك جاحـــدا
أن الحياة وما بها بهتـــان

لما نعيت الى المـــدائن والقـــرى
وجمت « قنا » وترنحت « أســوان »

وذهبت تبكيك المروءة والعـــلى
وينوح خلف سريرك الاحســـان

★★★★★

انها كلمات حكيمة غالية تثرى الشعر وتبعث فيه حرارة العاطفة وعراقة الألفاظ .

وهناك أيضا قصيدة « يقظة النيل » وقد فازت بالجائزة الأولى فى مسابقة دار المعارف .

وكانت لجنة التحكيم مؤلفة من أنطون الجميل وعباس العقاد وعلى الجارم وخليل مطران ـ أى من رواد الأدب الفطاحل .

والقصيدة ذات نفس طويل « بحترى » قل أن نجد نظيرا لها بين أنفاس شعراء هذا العصر كما قال الشاعر الراحل صالح جودت فى مقدمة هذا الديوان .

وبعد . ان الشاعر الرقيق كمال النجمي بديوانه هذا « الأنداء المحترقة » يمثل صورة انسان فنان أصيل ، وعلى ضوء مثاليته يهدينا الصورة التى يجب أن تكون عليها حياة كل انسان .

فالشاعر تواق الى حياة مثلى ، نزاع الى الحرية ، متبرم بكل ما يحد من انطلاقة النور والحب والخير فى عالم واقع تحت رزح العبودية المادية .

ولعل أول ظاهرة فى ديوانه هذا هى هذا التنقل المستمر بين مدارس الشعر العديدة وهذا التطور الواضح بين المذاهب الشعرية فى كل حقبة من عمر الشاعر ..

فمن واقعية جادة الى رومامسية مسرفة فى العاطفة ..

وفى كل نقلة نستمع الى شعر متقن جيد ناضج ..

وأخيرا ..

ان أغانى هذا الديوان تأتى عذبة ممتعة ..

وانى لسعيدة أن قدمت للقــارىء الــكريم شعرا يمتاز بجدة المعانى وابتكارهــا وتعدد أخيلتهـــا وانسجامهـــا الموسيقى ..

سعيدة أن قدمت شاعرا من رواد شــعراء مصر ، يؤمن بالصدق والاخلاص فى العمل ، فى طــــلاقة فنية وتعبير رائع .

دكتور عبد العزيز شرف في ديوانه
الى نبع الحب

للمرة الثانية أقف حائرة أمام ديوان جديد آخر ..

وكما وقفت بالأمس أمام « أشواق حائرة » المجموعة الشعرية للدكتور عبد المنعم خفاجى أقف اليوم أمام ديوان « الى نبع الحب » للدكتور عبد العزيز شرف لأردد نفس السؤال .

أين كان شاعرنا يخفى هذا الشعر الجيد عن أعين القراء .. ؟

ولماذا تأخر نشره حتى اليوم .. ؟

فالديوان فى مجموعه يمثل شاعرية صادقة العواطف والوجدان .. انه بالاختصار حياة انسان خلقت معه موهبة الشاعر واحساس الفنان .

والديوان حصيلة فترة من العمر ليست بالقصيرة ولذلك نرى فى قصائده رقة وعنفا ووضوحا وغموضا وميلا الى الخيال وهروبا الى الواقع وكلها مشاعر طبيعية مع اختلاف مراحل الزمن والأحداث .

وشعر الديوان ينقسم الى قسمين شعر حر وشعر حديث فالحر ما كان بلا قافية وقد لجأ صاحبه الى زيادة أو انقاص

التفعيلة حتى صارت واحدة فى بعض الأبيات وهذا ما جرى عليه كثير من شعرائنا المعاصرين وميزته ابعـــاد الملل عن قارئه وهو لا يضير الشعر طالما ان هناك ايقاعات صاعدة أو هابطة ، قوية أو خافتة تحاكى الموسيقى التصويرية وتبرز أخيرا الأفكار والمواقف حسب تباينها وانسجامها ..

مثال ذلك قصيدة « ايزيس تنهض من نومها » والشاعر يعبر عن مصر فى ندائه ايزيس .

والشىء المحقق هو ان الشاعر أحدث حدثا أدبيا سنحفظه له نحن جميعا بهذه القصيدة الرائعـــة وما فيهـــا من مرونـــة وسعة خيال وتعبير صائب عن شتى جوانب النفس .

وسأقتطف من روضتها باقة صغيرة من الزهور لعـــــل القارىء يدرك بها مدى قيمة هذه القصيدة ..

يقول الشاعر موجها النداء الى وطنه مصر .

من عطرك المسحور يا حبيبتى
تخضوضر المروج فى الضفاف
أبحث عنك فى معابد الربيع
فى عالم ممزق الأوصال والاهاب
محاصرا .
يحوطنى الارهـــاب .
وأنت يا ايزيس يا مبعوثة السماء
ترتلين آية الوداع

★★★★★

ويبدأ الشاعر مقطوعة أخرى من نفس القصيدة وهنـــا يتغير البحر فيستريح السمع ويتضح الوجدان ويقبل القارىء على تكملة القصيدة فى شوق وغبطة ..

يا أجمل أغنية فى العالم
فى القرن العشرين
ايزيس يا ايزيس
يأشوقا أبدى الأشجان
كادت تطوينى نيران البركان
وقرأت كتاب الموت
وعبرت بحار الليل
مزقت
ظل الخيط الأزرق
فى صمت مطبق
رتلت تراتيل النصر
غنيتك فى فكر العصر
ورأيتك فى روح الشعر
سميتك « مصر »

★★★★★

وللشاعر فى بعض الأحيان كلمات تفلت منه هاربة الى فوق ففى قصيدة « سياج » :

لأنى حزين
دموعى تغوص بجوف السنين
وأصنع حولى سياجا
وأبقى هناك بقيد السجين
فسجنى اختيـــار ..

★★★★★

وتتغير الجملة ولكن الى نفس المعنى فى اصرار :

وأنسى بأنى سجين

وأنى كنت أريد انطلاقا
لأنى بسجنى أعيش انعتاقا

★★★★★

وتجذبه ايزيس فى كل كلمة وسطر من ديوانه وفى كل خاطرة من أفكاره وتحنو عليه ايزيس مصر بحبها الوفى ٠٠ فيناديها اينما يسير وكيفما يعيش وحيثما يكتب ، ففى قصيدة « الكنانة الخضراء » :

كنانتى الخضراء
تمد رأسها الى السماء
وتذرف الدموع فى فرعين
يحملان حلم أمسها الى العلاء
سننكر الذات
لتجعل الذوات فى البناء
ما قيمة الحياة دونما غناء
ما قيمة الخلود دونما بناء
يا مصر يا حبيبتى يا وطن الأوطان
يا مصر يا علية المكان
يا قمة التاريخ للانسان
لن يهزم الانسان ٠٠

★★★★★

وفى شعره الحر يعتمد الشاعر الالغاز والرمز الخفى ٠

ولست أنكر انى استعمنت أحيانا بالتأمل والتمعن فى تبيان ما وراء هذا البيت أو ذاك ولا ستكناه دلالة القصيدة حتى يتسنى تفسيرها أو تسليط الضوء عليها أو تحليل عناصرها بقدر المستطاع ٠

فلكى أحدد القيمة الحقيقية لهذا العمـل الأدبى الجيـد وما ينطوى عليه من هدف وما يعتمد عليه من مضمون كان لا بد من فهم وادراك ومن الايغال فى عقل الشاعر صـاحب هذا الديوان ٠

ومن شعره الحر قصيدته « جدار الصمت » والقصيدة من روائع شعره تجربة وخيالا وأداء وحركة وموسيقى ٠٠

فهى ثورة حقا ٠٠ ثورة على كل ما هو يجب أن يتحطم وأن يحرق ، ولأن الأمل كله فى المستقبل فلن يهدأ الشاعـر لأنه فى غد ٠٠ سيبدأ :

بقلبى ثورة ٠٠٠ ثورة
تريد اليوم أن تحطم
وأن تهدم
لتبنى دار أحلام المنى النضره
وقلبى اليوم عذبه جدار الصمت
سأهدمه وأترك ثم بركانا
يذيب الفكرة النخرة
ليحرقها هنا شوق على الأيام لا يهدأ
ولن يهدأ
لأنى فى غد أبدأ ٠٠٠

★★★★★

هل كانت هذه القصيدة وليدة انفعالات خـارجية أثرت فى نفس الشاعر فكشف بها عما شهده من نقص حوله ٠ ؟

أم هى عوامل داخلية خرجت صدى لما اعتمل فى نفسه من قلق وحيرة ٠ ؟

على كل فمهما كان الحافز الذى أثار الشاعر ودفعه الى نظمها فهى دليل على انها صادرة عن صدق التجربة ..

ومثلها قصيدة « بكائية » حيث يقول الشاعر :

من فوق الأعراف أسجل هذا السطر
كى أترك شيئا يهمس فى عين الصقر
فليبك الصقر
ما عاد بكاء الصقر يثير الشفقة
قد أضحت فى ناب الجمر
سأسجل هذا السطر
كى أمنع عن روحى غول السر
فالغول كبير يلتهم الكلمة
ويميت الفكر ...

★★★★★

وللشاعر الدكتور عبد العزيز شرف العديد من الكلمات التى أحبها فأكثر من ذكرها فى الديوان .

الثور ، نفحة نور ، نهير نور ، قطرة نور ، ومضة نور وهى ان دلت على شىء فعلى عذوبة ألفاظ الشاعر وصفاء روحه وتطلعه الى مزيد من النور يغمر الكون . والى كثير من الأمل الباسم فى مستقبل زاهر يشمل أرضه ووطنه .

وقبل أن نأتى الى الشعر المقفى نستطيع أن نقول ان صاحب ديوان « الى نبع الحب » قد أبرز قدرته فى الشعر الحر على عرض الصور الكاملة وعلى اختيار الألوان التصويرية التى تبهر الرؤية وبذلك منح شعره عناصره الجمالية من وحدة وتدرج وتناسب وايقاع .

ومن حسن حظ هذا الشعر الحر أن تتاح له أحيانا فئة مثقفة واعية متزنة من الشعراء أمثال صاحب الديوان تعد

دعائم المدرسة الجديدة فى الشعر المعاصر ، فهى التى تسدد خطى الشباب الجامح وترسم له الطريق السوى فى الشعر وتطلعه بفنها الأصيل على أجمل ما فى الشعر الحر من مشاعر انسانية لأدق نزعات النفس وتحثه على النهوض بفنه .. ويلفت النظر أن صاحب الديوان رغم استخدامه الشعر الحر الذى هو أصلا مسرح الواقعية البحتة بما فيها من محاولات اصلاح وتجديد وثورة وتحطيم أغلال ، نجده رغم ذلك ينتمى فى كثير من الأحيان بقصائده الى المذهب الرومانسى بما فيه من تهاويم الخيال لأصحاب المشاعر المرهفة ، المنصرفين عن عالمهم الواقعى الى عالم المثل العليا ودنيا الأحزان والأحلام والى ينابيع الحب والنور والعبير والجمال .

ولنأت بعد ذلك الى الشعر المقفى فى ديوان الى نبع الحب » .

أولا : ان الماضى بشعره المنغوم عزيز على نفس الشاعر تؤنسه أطيافه فيميل اليه لينتخب منه ما يلائم ذوقه ويعيش فى أجوائه ويفيض عليه من روحه الوثابة ما يكسب الشعر اشراقا وخصبا ..

وصدق التجربة واضح جلى فى هذه المجموعة الشعرية ودليل ذلك هذا الانفعال النفسى الذى تثيره الأحداث فى شاعرنا فيندمج فى عالم الرؤى والأحلام مهما كان هذا العالم غريبا ..

ولنستمع اليه وهو يصف حياته فى قصيدة « شبح الحقيقة » :

عشت الحياة قصيدة قمراء تنضح بالمشاعر
وتفيض من روح الجمال لكل فنان وشاعر
وتذيب سحر الكون حبا ليس يفنيه مكابر

يحيا ليملأ كوننا نورا يضىء لكل ثائر
ويطهر الانسان من حزن قديم فى الضمائر

واذا انتقلنا بعد ذلك الى قصيدة « مازلت يا وطنى النهار » نجد أن القافية أضحت عند الشاعر ذات قيمة جمالية كبيرة يزهو بها ويتلاعب فى سهولة ويسر ..

تتوسد الصدر الحنون ، تنام فى الجفن الأمين
وعلى جناح الخصب تسبح فى بحيرات السنين
وهناك فى المرسى تغنى أغنيات لا تلين
نحيا على أمل الربيع ـ الحلم ـ فى الفجر الجنين

لكنكم لا تعلمون
ولأنكم تتساءلون

والقصيدة ترمز الى أعداء الدين والعقيدة وكيف أرادوا لنا الهزيمة والانكسار فهم مزقوا فينا التمنى تحت أقدام الغباء .

لكننا استطعنا أن نتحرر من زيفهم ، زيف هؤلاء الصحاب الذئاب :

أن يحلم الانسان بالنور المقدس فى الكتاب
فهو «المخرف» ـ عند ذاك » الذئب لا يرضى الصحاب
لكننا يا أيها الأصحاب مزقنا السراب
انا نسجناه هنا كفن الثعالب والذئاب
نحيا على دين السماء ، نعمر الأرض اليباب

لكنهم يتساءلون
ولأنهم لا يعملون

سنظل صناع الحياة ـ النور ، فى الفجر اليقين
مصر العقيدة ـ وحدها ـ فيها نموت ولا نخون ..

وهكذا نرى الشاعر وقد استخدم الحدث فى طلاقة وجعل السياق الشعرى يسير سيرا دراميا أصيـــلا فخرجت علينـــا القصائد ثابتة فى بنائها واتقانها الفنى ملتفة فى وحـــدة قوية متماسكة ، مما جعل الشاعر والناقد الكبير الدكتـــور كمال اسماعيل يتساءل بأسلوبه الثرى القيم فى مقدمة ديوان « الى نبع الحب » عن صاحبه دكتور عبد العزيز شرف :

« هل مشى به قلبه حثيثا الى اللفظة المتقبلة لأوجه كثيرة من الأزمنة والتأويلات

هل عرف النظام والايقاع من حيث انهما القيمة الحقيقية للشعر ؟

وهل السياق لديه مرصوف ناعم حريرى الملمس ؟

ويعود فيقول : ان المقالات النثرية لديه فى جلابيبها المتخيلة تقول نعم وان منها ما يكتسب سمة الشعر .. » .

أجل .. لقد أحس شاعرنا بالكلمة وأدرك سرها ومدى تأثيرها فوشحها بمعان جديدة غير المعانى التى تحملها الألفاظ وخرجت علينا فى انطلاقة خيال وتحرر فكر ، وسعة أفق ، تحمل فى طياتها فلسفة حبيبة الى النفس تصل الى الروح قبل السمع وسط تجارب مختلفة من أحزان ومسرات .

هذا هو ديوان «الى نبع الحب» للشاعر الدكتور عبد العزيز شرف يسعدنى أن أقدمـــه الى القارىء حتى يقرأه فى خلوة واستمتاع . فمهما طال العرض فلن يحمل صورة كاملـــة لديوان من الشعر يعد صاحبه من رواد الجيل فى أدبه وخلقه وواسع علمه وشاعريته ..

محمد عبد الرحمن صان الدين في ديوانه
أعاصير وأنسام

في بادىء الأمر ، أستطيع أن أقول ان ميزة هذه المجموعة الشعرية التى بين يدى هى فى كونها مؤمنة بالكلمة الخلاقة ، والكلمة الطيبة تؤتى أكلها باذن ربها تعالى كل حين ..

هذا هو ديوان الشاعر الصوفى الوجدانى الفيلسوف صان الدين الذى يتمسك بتراثه الفنى مع البساطة والسهولة فى التعبير ..

وكيف نتحدث ببساطة عن ديوان يحمل فى طياته الأعاصير الغاضبة بينما يسرى فيه الايمان كأنسام ملأى بالدفء والأمن والسلام ؟

هى اذن مجموعة شعرية متنوعة المضمون ، متحدة المصدر وكأنها ألوان طيف يعكسها لوح من زجاج .

هى قصائد مختلفة المضمون تناول فيها الشاعر الكثير من الأغراض الاجتماعية بنظرة فاحصة ناقدة واستخدم فيها شعره أحسن استخدام فى الدفاع عن الانسانية المعذبة .. بيد أن كل هذه القصائد المنوعة مصدرها كما قلت هو الايمان كالنهر فى طريقه يروى مختلف السهول والأودية ..

أجل · أروع وأغلي ما في هذه المجموعة من القصائد هى الدينية لا شك ·

والحق أقول ان هذا الديوان بطبعه ونشره وتوزيعه سوف يؤدى دوره المنشود فى مرحلة تاريخية حرجة ··

فان العناية بالأجيال الجديدة الحاضرة تحتاج الى تعاون وتدارس وتقويم ، ولكن كل ذلك على شكل مائدة مليئة بأنواع الفاكهة والثمار ·

لقد قطع الشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين شوطا طويلا في ميدان الشعر ، فأصبحت لديه القدرة على التعبير كما تميز بسلامة المعنى ·

وان جانبا كبيرا من قوة هذه التجارب الشعرية يبدو ضرورة تربط ما بين الدين والحياة ·

ولقد خرج الشاعر مرارا من دنيا المادة الى دنيا الروح ·· ومن ثم فسوف يسهم هذا الديوان « أعاصير وانسام » فى ترديد صوت الاسلام ·

سوف يكشف للشباب أبعاد الحياة ويرسم لهم منطلقا تأمن فيه خطأهم من عثرات الوهم والضلال ·

اذن من جذور الايمان تغذى هذا الديوان ، ومن رحيقه الشهى نمت أشعاره وتفتحت ·

وليس معنى هذه القصائد الدينية أن يكون كل تعبير عداها متخلفا أو رجعيا ، فليس للشعر أن يتحول منبرا خطابيا للدين أيا كانت قوة هذا الشعر ·

فقد يكون الدين أيضا فى مناجاة عصفور حزين أو فى لمسة حنان لطفل يتيم أو يكون كفاحا جادا من أجل حماية الوطن أو ابتسامة مشرقة فى وجه انسان بائس ·

ومهما كان الأمر ، فان هذا الديوان يعتبر احدى الظواهر الأدبية التى تعكس معانى الحياة ، بما فيها من مثل وقيم ..

انه مرحلة واثبة متواثبة من أحاسيس ووجدان شاعر كبير مختف وراء الأضواء .

مرحلة من تفكيره الانسانى ومن تعبيره الفنى ، وهو طاقة عارمة قيمتها فى كونها تدرى أين اتجاهها وتقدر معنى انطلاقتها الذاتية الخالصة .

ولقد نجح الشاعر فى بعض قصائده نجاحا بعيدا فى نقل التجربة وعرضها فى صياغة متقنة جيدة .

ورغم حرص الشاعر على القافية الواحدة فلم تحرم قصائده من التدفق والانسياب . وقد حرص أيضا على ألا يتجه الى التعابير الرمزية الغامضة التى قد لا تساعده على ابراز مضمون أو بلورة معنى . فلم يستملها الا للتحلية أو لتغذية الصورة وتطويرها وتنميتها وليكثر من وهج المعنى الذى يريد أن ينقله الى وجدان القارىء .

ولكم يسعدنى أن أقدم هذا الديوان الى القارىء الكريم فقد رأيت فيه ضياء يستنير به الطارق باب الشعر فى وقت نبذ البعض من الشعراء باسم التحرر حينا والتطور أحيانا كل نظام وترتيب وقاعدة لشعرنا العربى الأصيل . وقطعوا بذلك أسباب الاتصال بالقارىء فى وقت ظنوا فيه أنهم قد فرضوا عليه هذا المخلوق المشوه .

أجل . يسعدنى أن أعرض هذا الديوان فقد أحسست انى أمام شاعر يمسك بزمام الشعر الى حيث يمضى الى غايته ..

وسرنى أيضا أن أتتبع بحور شعره فرأيته يميل الى البعض فيكثر منها شأن كل شاعر صادق .

وليس من شك فى أن ديوان « أعاصير وأنسام » يحمل من اسمه المعنى الكبير ففيه الثورة وفيه اللين وفيه العنف وفيه التسامح ·

وقبل كل ذلك فيه صدق التجربة ··

انه شعر انسان قوى كل القوة في تفهمه للدين ، ضعيف كل الضعف أمام القدرة الالهية ·

فهي اذن مرحلة نضج كامل وتوافر فى الموهبة ·

ولما كان شاعرنا مرهفا شديد الحساسية لذلك نراه نادرا ما يختلس من دنياه ابتسامة انسان متفائل رغم قوة ايمانه بقضاء الله سبحانه ·

فاذا ابتسم ففى قلبه دموع واذا طرق موضوعا طريفا اختلطت عليه الجدية وسبقته الى التأمل والتروى والتفكير الفلسفى العميق ·

ولذلك يشيع دائما بين السطور وميض خاطف من الألم والمرارة · حتى ليقف به ذلك الحزن البادى عن استيعاب مفاتن الوجود ، وجمال الطبيعة فيخيل اليه أن كل شيء يحمل مثله أعباء الحياة وأن الطيور حزينة كفت عن الغناء لفساد العالم وما فيه من موبقات · ولنستمع اليه فى قصيدة « صمت الطيور » يسالها السبب :

لم لا تغنى يا طيور	لم لا تطيرى فى البكور
انى أراك قد انطويت	فلا رفيق ولا ظهور
وركنت للصمت الحزين	وأنة القلب الحسير
انى عهدتك تصدحين	بكل ألوان السرور
وترفرفين على الخمائل	والجداول والجسور

وتغازلين مع الصبـــاح البكر فتان الزهـــور
وتبـادلين الشـمس فى سبحاتها كأس الحبـــور
فاذا احتــــواك العش نمت كنومة الطفل الغريـر
مــاذا دهــــاك فصرت دامية المدامع والشعـور

فاذا أعدنا قراءة هذه الأبيات السابقة لم نجد فى أى بيت فيها قافية غريبة عليه ولم نعثر فى أى بيت فيها على جملة دخيلة ٠

ان صاحبها يحرك مشاعرنا متنقــلا بنا من معنى الى معنى فى خفة ويسر حتى يصل الى جواب الطيور :

يا غافلا عمـا استجــد وذاهــلا عمـا يـدور
الروض صـوح أيكــه والماء غاض من الغـدير
والجـــو قد ملـكته أسراب الجوارح والصقور
فلجأت ألتمس السـكينه والأمان ٠٠ الى القبـور
وقنعت فى عيشى بظـل شـاحب بين الصخـور
حتى يوافينى الحمـــام وألفظ النفس الأخـــير

★★★★★

وهكذا كعادته دائما يعمق الشاعر مدلـول قصـيدته ، ويضيف الى المعانى التى يريدها أشياء أخـرى ذات قيمـة معنوية كبيرة ٠

وفى مرحلة من عمر شاعرنا نراه كما يقول وقـد ثار على الحياة ثار على دنياه بما فيها من مآسى وآلام وما تحوى من غدر ونفاق فيمزق فى عنف قلبه حين يمزق أشعـاره المدونة مقسما ألا ينظم الشعر بعد يومه ذاك ٠

ولكن ٠٠ تمر الأعـوام ويشـعر بالفراغ ، يشعـر

بالضياع ، يشعر بتفاهة العيش بغير شعر ، ان الحيـــاة ثقيلة الأعباء وكيف يحياهـــا ان لم يغن الروح على شعاع الرجاء .

ويتساءل كيف يعيش بلا خيال يلون لياليه الطـــوال وأيامه الجرداء ؟ كيف يستاف بواسم الزهر دون أن يقتحم فى جرأة روضه اليانع ليرطب روحــه بالأنـــداء . كيف يتلقى روعة الجمال دون تعبير ؟ .

ويمسك بالقلم .. أخيرا . ثم يبدأ من جديد رحلــة الأنغام وينظم قصيدة « سأشدو » :

أأفصح أم أموت بمـــا أعـــانى
وأمضى بين تيار الزمــــــان
وفى قـــلبى أناشيـــد عـــذاب
وفى الوجــدان أبــكار المعـــانى
وأطمر تحت أنقـــاض الليـــالى
عديم الذكر مجهــول المكـــان
كأنى لم أكن يومـــا سويـــا
ولم أخطر بهاتيك المغـــانى
أأســـكت يا رفـــاقى أم أغنى
على الدنيا بأعذب ما شجـــانى

والقصيدة طويلة يلخص الشاعر أبياتها فى هذا البيت الأخير :

أنا فى دوحـــة الدنيـــا هـــزار
وهل يحيا الهزار بلا أغان .. ؟

أما فى قصيدة « أزف الرحيل » فالشاعر يأمر نفســه

باخراج ما بها من كنوز ونغم قبل أن يخفق ضـوء السراج وترتعش خطى شمسه الغاربة وينتهي العمر :

أعنى أيها الجسم العليل   أعنى أيها الفكر الكليـل
وكن طوع الأنامل مستجيبـا   لفكرى أيها القلم الكسول
لأخـرج ما بلقبى من كنـوز   وأنغام • فقد أزف الرحيـل

ولقد يسأل القارىء لماذا كل هذا الحزن والشجـن في قصائد الشاعر فأجيب : لولاهما « الحزن والشجن » ما كان اليوم هناك شاعر يدعى محمد عبد الرحمن صـان الدين • فمرحى بهما •

لقد تأثر الشاعر بالظروف المحيطة بـه وبالأسباب التى تصله بالحياة فكان ان بدا على شعـره احسـاس الغربة والاغتراب احساس القلق واليأس • وفي اعتقادى انهـا شواهد قوية على شاعريته العاجزة عن اخفاء الألم والتبسم في وجه الأحداث •

واذا أردنا أن نعرف شيئا عن أخلاق شاعرنـا يكفى أن نقرأ هذين البيتين من قصيدة « الحارس اليقظان » :

رقيب ضـمن ذاتي لا يحـور
وقاض لا يميـل ولا يجـور

وسلطـان تحـكم في كيـانى
بقسطاط يقال له « الضمير »

ومع روائع شعره قصيدة « حلم شاعر » يتمنى فيها أن يعيش في الريف بعيدا عن المدينـة ويصف كيف ستكـون حياته :

يا حبذا العيش الوديـع بواحـة
شجراء قد نأت عـن العمـران

فى عزلـــــة ما شاهدتهـــا أعين
أبدا ولا خطرت بها قدمـــــــان
وتـــردد الأطيـــار فى أفنانهـــا
لحن الصفـــاء فينتشى وجـــدانى
وأظل يومى هانئــا متنقـــلا
ما بين ظــــل وارف وأغـــان
حتى اذا ولج النهـــار بغمـــده
وغزت جيوش الليــل كل مكـــان
آوى الى كوخى وئيـــدا وادعـــا
فيضمنى بترفـــق وحنـــان

ثم ينهى الشاعر قصيدتـــه كعادته بالموت حيث يطفىء الردى سراج الشاعر وتحوك الأشجار من أوراقها كفنا لـه ويهتف العابرون :

والكائنات هنـــاك تهتف : ههنـــا
مثوى غريب من بنى الانســـان

والقصيدة فيها من الحرارة والتصوير الصادق وعمـــق المعنى ما يجعلنا نتوقف أمامها لنستوعب جمالهـــا وربمـــا أحببتها بالذات لأنها تذكرنى بقصيدتى « الجنة العـذراء » وهى بنفس المعنى تقريبا مع اختلاف الأسلوب ومنها أقول :

لو جاء دهرى لاستكنت سعيـــدة
فى قريـــة مجهـــولة الأسماء
سأعيش نبت الشمس فى أحضانهـــا
أقضى البقية لى مـــع البسطـــاء

كم أشتهى عند الظهيرة جلسة
في ظل حقل واسع الأرجاء
الظهر مستند الى صفصافة
تهدى الشذا والظل للغرباء
والطير لحنى والجداول معزفى
والأرض فرشى والسماء غطائى
والجبن و « البتاو » داخل صرة
وعلى مدى كفى « قلة » ماء !

*****

وديوان « أعاصير وأنسام » يحتوى على أكثر من خمسين قصيدة مقسمة الى عدة أقسام ٠

« الوجدانيات » ومنها قصائد « مراقى السمو » و « الصلوات » ٠٠ « الوجدانيات » ومنها قصائد « أنغام الحياة » و « حكمة طائر » « أقباس » ومنها قصائد « الاسلام فى الأفغان » و « حديقة الذكرى العطرة » ٠

« اجتماعيات » وتزينها قصيدة « الأزهر الشريف » حيث تكلم الشاعر فى حكمة بالغة عن حسناته الكثار ٠ وانها للفتة طيبة من شاعرنا أن يفى الأزهر الشريف حقه من الشكر والامتنان :

مازلت بعد الألف غضا يافعا
مازلت روضا للمعارف يانعا

يا معقل الفصحى التى بلسانها
نزل الكتاب مفصلا ومجمعا

كم حاكم دانت لسطوته الرقـــاب
أتى يخب الى شيوخك خاضعـــــا

كم جاهل وافـــاك فى أسمالـــه
يمشى على الأقدام غرا جائعـــا
فضممته مترفقـــا وغـــذوته
حتى غدا بالعلم نجمـا لامعـــا

أما فى قصيدة « يا رباه » فما أعذب هذه الأبيات :

مددت اليـــك يا ربـــاه كفـــا
يجللها من القلب الخشـــــوع
أتحـــــرقنى بنـــــارك يا الهى
وضعفى عند بابك لى شفيـــــع
أيعظـــــم يا رحيم لديـــك ذنب
وعفوك بحـــره جـــم وسيع
فمن بالعفـو والغفران يحـــظى
اذا ما فاز بالخلد المطيع ٠٠ ؟

★★★★★

ومن قصيدة « أنت منى ولكن » نستطيع أخيرا أن ندرك موقف شاعرنا من المرأة ، انـه صراخ رجـل ثائر عـــلى أوضاعها يريد لها الكمال ويؤلمه عجزه ، صراخ رجل أقسم منذ عرف الله الا يجذبه سحرها الأنثوى والا يصيب قلبـه سهام لحظها الفتاك ٠

ويسألها فى تهـكم واستنكار : أين هـذا الضعف الذى اشتهرت به وهى بقوتها تروض أغلظ الرجال ٠٠

هل أنت يا حواء مخلوق يعد من الضعاف

أم أن أعتى الناس طفل فى أناملك اللطاف .. ؟
ويخاف الشاعر ظن السوء به فيفسر قسوته :
لا تحسبى حواء أنى عنك مشغول الجنان
هل أنت الا قطعة منى استقلت عن كيانى
لا . لا أحبك سلعة معروضة للمشترينا
أو دمية تطلى لتحلو فى عيون الناظرينا
انه يريدها سيدة البيت ، هكذا أراد الله . وهذا هو دورها فى الحياة :
البيت يا حواء عش أنت فيه الروح تسرى
وحنانك الفياض بين رياضه الزهراء يجرى
★★★★★
ويضرب لها مثلا بالنحلة قائلا فى بلاغة وحكمة :
انى رأيت مليكة النحل الحكيمة فى الخليه
قبعت جلالتها تدبر أمر هاتيك الرعيه
لا تشتكى مللا وضيقا فى الغداة وفى العشيه
وهى التى بجناحها تطوى المسافات القصيه
ثم يتجه بها الى الله حيث يتجه هو دائما اليه ..
ورأيت أن الله زود كل جنس فى الخليقه
بخصائص فطرية ليشق فى الدنيا طريقه
كل معد فى الحياة لدوره .. وهى الحقيقه
★★★★★
ولقد أسهبت فى شرح هذه القصيدة لما فيها من جمال فنى ظاهر .

ان ديوان « أعاصير وأنسام » ديوان لشاعر يصلى فى غير كلفة ويعبد الله فى غير تظاهر .

شاعر لا يعرف التهريج والالتواء ، يكتب عن فن ودراية .

شاعر يجمع بين براءة الطفل وقلب الفنان وعقل الفيلسوف .

شاعر يحملنا على التغلغل فى أعماق أنفسنا لكى نعيش فى سماحة وحب وصفاء .

فلنقرأ اذن ديوانه فى شوق واستيعاب ..

أما هو ـ الشاعر الحالم الرقيق المتأمل .. فلندعه كما هو .

فى قلب دنياه الغريبة .. تجتاحه حينا الأعاصير ، وتبل جراحه الأنسام ..

يستلهم وينظم ويكتب ويعيش كما يقول هو ..

اننى أحيا غريبا وسط أقرانى وقومى
راحل عنهم بحسى حاضر فيهم بجسمى

★★★★★

ولا خوف عليه ولا حرج ..
فالله معه فى كل آن ....

الشاعر شوقي علي هيكل في ديوانه

كبرياء ــ وظلال وعيون

من روح الانصاف والعدل الخالص انبثقت فكرة هـذه الدراسة الأدبية ·

بين يدى الآن مجموعتان من شعر الشاعر شوقى على هيكل سعدت بهما ووجدت من الواجب أن أتقدم برأيي فى شعـر صاحب هذين الديوانين ·

« شوقى هيكل » وليحفظ القارىء الكريم هذا الاسـم جيدا ، فهو شاعر مبدع وقدير وان كان لم يأخـذ نصـيبه المستحق من الشهرة ·

ذلك لأن الشاعر ذو طبيعة جادة عفة ، يأبى التسـلق والتسلل ، ويعاف النفاق والمداهنة والرياء · وليس من شك في وصوله ذات يوم بجده واجتهاده الى مقدمة الشعراء وطليعة الموهوبين منهم · · ·

والشاعر شوقى هيكل حريص قبل كل شىء أن يقدم نفسه بنفسه فى ديوانيه مما يسهل على قارئه عملية استيعـاب شعره وعلى ناقده عملية العرض والسرد ·

فهو منتسب الى عدة مناصب أدبية ، وهو حاصـل على شهادة تقدير من المجلس الأعلى للثقافة وعضو اتحاد الكتـاب

وسكرتير تحرير مجلة « عالم الفكر » ونائب رئيس مجلس ادارة جمعية العقاد وعضو مجلس ادارة جمعية الأدب والفكر المعاصر ورابطة الأدب الحديث ونادى القصيد · وله عدة دواوين تحت الطبع ··

وديوان شوقى هيكل « كبرياء » هو ديوانه الأول طبع عام ١٩٧٩ م ولا أستطيع أن أقول انه متنوع الألوان والمضامين فالديوان كما أرى خاص جدا بعاطفة الحب عدا قصائد معدودة عن الدين والوطن ·

وقصائد الشاعر شوقى هيكل العاطفية فى ديوانه الأول كلها تصلى فى غير كلفة أو تكلف فى محراب الجمال تسبيحا وعبادة ··· انها خلاصة تفكيره وعصارة مشاعره ، ولو ترك لنفسه الحرية آنذاك فى انطلاق ارادته لأخرج ملاحم عاطفية تكفى لعشرة دواوين من الحب · ربما سيخرجها فى دواوينه التى تحت الطبع ·

وأنت تمسك أيها القارىء بديوانه « كبرياء » وما تكاد تتصفحه حتى يخيل اليك أنها قصة طويلة مروية وليست ديوان شعر ·

فكل قصائد الديوان تترى كأنها أحداث قصة تمر أمامنا فى يسر وسهولة وتفصيل دقيق للوقائع وهو ما يسمى بالشعر القصصى ·

ففى قصيدة « حبيبتى ، رسالة اليك » يقول :

غابت بأطواء السماء الأنجم
والليل يؤذن بالرحيل فيعتم
ولقد جلست هنا بشرفة مكتبى
أرنو لها والكون حولى مبهم

من أين أبدأ فى الغرام رسـالتى
وبأى لفـظ للرسـالة أخـتم

ويمضى الشاعر فى صفحتين مزدوجتين يتساءل ماذا يقول حتى يكمل قصيدته مكتفيا بكلمة « حبيبتى » مفسرا بهـا مشاعره .

والحق أقول ان الشاعر شوقى هيكل ذو مقدرة لغويـة سليمة وقدرة على موازاة الصورة للتجربة وتجسيدها فى فن وابداع .

وأما قصيدة « بين عهدين » فهى قصة تعد قصيرة وان كانت أحداثها تلتهم الزمن الكامل بعمـر طفلين صغيرين تلاقيا على حب ، وكبرا على هوى ، وكانت نهايتهما نهايـة حب ضاع بين الوشاة .. يقول الشاعر :

تلاقينا صغيرين لقـاء القلب والعين
وأول ما تلاقينـا تلاقينـا حبيبين
وطار الشـوق هفهافا ليعلن وصل روحـين
الى أن صار ما صرنـا يضم الواحـد اثنين
ومر العام بعد العام يحدو ركب عمرين
كبرنا ضعف عمرينـا وصار الحب ضعفيـن
ورحنا نهتدى سعيـا لنبنى عش زوجيـن
فقام وشاتنا يسعو ن للتفـريق والبين
تجـافينا فيـا شتا ن قلبى بين عهـدين

واذا تركنا هذه القصيدة قابلتنا أخرى بعنوان « مناى أن أراك » وهى تعد ملحمة شعريـة تشرح كـل ظروف الحبيبين ، وكذلك قصيدة « أول همسـة » وهى من أروع قصائد الشاعر فى ديوانه « كبرياء » ، فقد تجلت فيهـا

الموهبة والصدق والموسيقى وأشارت الى شاعر مجيد نجح الى حد كبير فى التعبير عن تجاربه بأسلوب جرىء وحيوى، فجمعت كل مشاعره الوجدانية وخواطره الكامنة مبدعا فى دقة لتصوير والتزام الواقع ٠

وأما قصيدة «بنيتى» فهى تتربع وسط الديوان فى بهجة وحبور ، حيث يقول :

بنيتى نحيله ٠٠ لكنها جميله
« مى » اسمها كرسمها حروفه ضئيله
لكنها فى جوهر كالدرة المصقولة

ويمضى الشاعر مفتونا بجمال ابنته الصغيرة فيقول :

جمالها سحر ترى فى وجهها دليله
جبينها بشرى صباح بالمنى طليله
نظراتها بريئة وعينها كحيله
رموشها خيوط ليل حالم سديله

وهكذا يظل الشاعر والأب يصف جمال ابنته « مى » الى أن يهتف أخيرا :

بنيتى جميلة جميلة جميله
تضمنى ، أضمها ، نذوب فى تقبيله

أما قصيدة « فارس الغيب » فقد آثر الشاعر أن يبدو فيها وكأنه فيلسوف حكيم فقد أخفى مشاعره الرقيقة الوجدانية خلف ضلوعه فترة من الزمن حتى يستخدم العقل فى السؤال عن كنه هذه الدنيا الغامضة :

أيها السائل فينا عن أمور خافيه
نحن ما نحن ؟ جسوم أم رسوم باليه

نحن من أين الى أين خطانا ساعيه
قد خلقنا ·· فلماذا ؟ ليت نفسى داريه !
أى قصد حكمة الخلق اليه رانيه ؟!

ثم يختتم الشاعر أسئلته فى مرارة وأسى ، ولكن فى خشوع واستسلام مثل كل من مر بهذه الحيرة ، وعانى هذا الشعور:

« كلها أسئلة فى النفس تبقى جاثيه »

هكذا ينام القلب أحيانا عند الفنان ليستيقظ الفكر الحائر ·· متخبطا فى أسرار الكون ··

والقصيدة طويلة فاذا انتقلنا بعد ذلك الى ديوانه الثانى « ظلال وعيون » المطبوع سنة ١٩٨٢ وجدنا أن ثلاثة أعوام مرت بين الديوانين كانت كفيلة بأن تبرز هذا التطور الكبير الواضح فى شاعرية الشاعر ··

وقد استهل الشاعر ديوانه الثانى بقصيدة « مع الحظ » وفى اعتقادى أن فكرتها نادرة المثال ، انها توسل وابتهال لسيدنا جميعا ألا وهو «الحظ » عله يكون من نصيب الشاعر حين يقول :

أيها الحظ الذى نهفو لـه — كم سمعنا عنك لكن لم نرك
قد تأخرت علينا طلعــة — فأجبنى ما الذى قد أخرك ؟
أترى أنت خيالا لا يــرى — أم ضمير الغيب عنا أضمرك
هزنى الشوق الى بعض السنا — منك يبدو كاشفا لى جوهرك
فمتى تظهر بالسعد لنــا — يا بأمى وأبى من أظهرك

ولا ريب أن الشاعر فى هذا الديوان « ظلال وعيون » قد خرج من دنياه الضيقة ليصور بعض ما يدور فى قلوب البشر ، وان كنت أعتب عليه فنادرا ما يختلس من الطبيعة

الربيعية العطرة ابتسامة مشرقة حتى نستطيع أن نقول انه متفائل بالحياة اذ لا تخلو قصيدة ذاتية من شكوى وبكاء ٠

ولكن عزاءنا أن الديوان ضم عديدا من القصائد الدينية والوطنية ، ففى قصيدة « المعجزة » تكلم الشاعر عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وخاتم المرسلين وهو الكمال الآدمى فقال :

لم يرث النبوة التى توارث النبيون وما تهودا

لقد رأى الله الكمال الآدمى فى الورى فخصه محمدا

هو الكمال قدوة للناس فى ابداعه ٠٠ لا من قرين أبدا

وليس فى ميلاده معجزة قام عليها دينه واعتمدا

وانما الاعجاز فى شخص الوليد الفذ بين الناس صار الأمجدا

ويتكلم الشاعر عن الدعوة المحمدية حيث دعا الرسول قومه الى الحق وقاوم الشرك وحطم الأصنام ونادى بالتوحيد، فيقول :

يا مولد التاريخ فى ماض أراه حاضرافينا تجلى وغدا

ما أنت يوم فى زمان الناس بل أنت الزمان طالما تجددا

ان هذه القصيدة تبدو كنزا دفينا فى أعماق الأرض ليت انسانا ما يكتشفها ليجسدها أمامنا تمثيلا والقاء ، فمن الظلم أن تهمل مثل هذه القصائد الشاملة على أرق معانى الحياة ٠

ولقد اعتز الشاعر بوطنيته فى ديوانه الثانى فكتب عن مصر والنيل وسيناء التاريخ والمستقبل فقال :

لا تقولوا هى بيد مقفرات
كم ظلال فى رباها وارفات
تلك واحات نخيل باسقات
وعيون الماء فيها جاريات
حولها الغزلان حور فاتنات
تلك والله جنان يانعات

ويحث الشاعر الشباب على صونها ورعايتها لتخضر أرضها التى رواها الشهداء بدمائهم وبذلوا لاستردادها عظيم التضحيات فهى مهبط الأنبياء ..

سار « ابراهيم » فى الأرض و « ساره »
وسرى يوسف بيعا فى تجاره
ثم موسى جاءها يرجو فراره
ثم عيسى جازها قبل البشاره
ليس فيهم طامع يبغى اماره
كلهم جاءوا عبورا لا اغاره

وهكذا خرج شوقى هيكل فى ديوانه الثانى من عالمه الأوحد وأطل على الكون مستشرفا متمعنا ، بيد أنه لم يستطع المكوث فقد هزمه الحب مرة أخرى وعاد به الى دنياه مناجيا مسترحما ..

فتوالت بعد ذلك القصائد العاطفية من غربة وحنين الى شوق ولهفة .

وبين ما كتبه شاعر الهوى والجمال تقف شامخة مزهوة تتوسط أشعاره قصيدة « الى وليدى » وهى تتمتم هامسة فى أذنه :

« أنا كل شىء بالنسبة اليك ولن تجد فى ديوانك أصدق وأغلى منى » :

ألا يا هـــذه الدنيـــا أطلى
بعين الحب واحتضنى وليـــدى
على أرضى عرفت بـــه مكـــانى
وضم وجـوده أبـــدا وجـــودى
أراه الآن يرقـــد فـــوق مهـــد
مليكا عز فوق عـروش مجـــده
قد اقتحم الحياة اليـــوم طفـــلا
فكيف نراه فيها بعد رشـــده ؟!

ويتسلل الايمان القوى فى قلب الشاعر فينظر الى وليده نظرة المعترف بقدرة الله :

فأنت اليوم معجـزة تجـــلت
وأجـــلت عن ضمير الغيب شرا
صغير الحجم فى الدنيـــا ولـــكن
وجودك آيـــة فى الخـــلق كبرى
ولى العهد قمت اليـــك بهـــرا
أطير على جناح السـعد طيرا
حملتـــك فى ذراعى ازدهـــاء
كأنى قد ملـكت الكـــون طـــرا

وانى اذ أختم مقالتى هذه اعتز بتقديم ديوانى «كبرياء و « ظلال وعيون » للشاعر الرقيق شـــوقى على هيكـــل ، ويسعدنى أن أكون قد ساهمت فى القاء الضوء على شاعـر يعد من أرق وأبدع شعراء الرومانسية فى عصرنا الحاضر ، شاعر شعره نفحات روح قلقة .

شاعر شعره نفثات صدر مكلوم حزين ،

والقلق والحزن هما من صفات الشاعر الأصيل .

انه شاعر ذو موهبة مواتية ومحصول زاخر من اللغة والثقافة ، شعره يؤثر فى قارئه ويتيح له العيش فى جوه زمنا ، وموسيقاه تتسرب الى النفس فى سهولة وغبطة ٠٠

وبعد ٠٠ أترك للقراء الكرام فرصة قراءة شعر الشاعر الرقيق شوقى هيكل حيث يقدرونه حق قدره ٠٠

الشاعر فؤاد الخطيب في ديوانه

« ديوان الخطيب »

لا شك فى أن المجموعة الشعرية للشاعر العربى الراحل فؤاد الخطيب تعطينا بعد الفراغ من قراءتها كثيرا من الراحة والانبهار ٠

الراحة حين نعرف أن لغة الضاد مازالت بخير ،والانبهار من هذا الأداء الفنى الأصيل ٠

فالخطيب يعد أحد رواد الشـــعر العربى المعاصر ومن أعذبهم لفظا وأسلمهم لغة وأحلاهم موسيقى ٠

فنحن اذن أمام شاعر قدير أقام للشعر العربى فى أرض الحجاز أولا وفى العالم العربى ثانيا صرحا أدبيا شامخا ، ومنح للغة العربية أكرم ما وهبه الله من نعم فكرية ٠

فقد عاش عمره كنموذج حى يدافع عن قضية اللغـــة العربية السليمة ٠

ونحن حين نرى مدى مواءمة أدائه الفنى للتجربة وكيف استغل عناصر الصياغة من أخيلة ومعان وموسيقى ووحــدة عضوية ندرك مدى قيمة عطاء هذا الفنان الملهم ٠

ولد الشيخ فؤاد الخطيب عام ١٨٨٠ فى قرية « شحيم »

من أعمال جبل لبنان ، وهو ينتمى الى أسرة الخطيب المعروفة في الجبل وتلقى علومه الثانوية فى كلية سوق الغرب ومنها انتقل الى الجامعة الأميركية في بيروت وبعد أن أتم دراسته فيها عام ١٩٠٤ بدأ نشاطه السياسى مشتركا فى الجمعيات العربية السرية التى كانت تطالب الأتراك باعطاء العرب حقهم فى الحرية والاستقلال ، وحفظ كيانهم القومى ولغتهم العربية .

ومقاومة سياسة التتريك التى انتهجها حزب « تركيا الفتاة » وحكم المجلس العرفى فى مدينة « عالية » بلبنان على الخطيب بالاعدام ، ففر الى مصر يتابع فيها جهوده ونشر قصائده ومقالاته .

ثم سافر الخطيب الى الخرطوم بالسودان مدرسا للغة العربية فى كلية « غوردن » .

ومن السودان انتقل الى الحجاز وعمل بها رئيسا لتحرير مجلة « القبلة » ثم وكيلا لوزارة الخارجية فوزيرا لها .

وفى تلك الفترة من شبابه فى الحجاز نظم أروع شعره القومى والسياسى .

واستقر الشاعر الخطيب بعد ذلك فترة أخرى فى لبنان معتزلا الحياة السياسية حتى استدعاه الملك عبد العزيز طيب الله ثراه عام ١٩٤٥ الى الرياض مستشارا له ثم انتقل أخيرا الى « كابول » وزيرا مفوضا لجلالته فى أفغانستان فسفيرا فيها حتى توفاه الله عام ١٣٧٦ هجرية .

ولقد تخللت الفترة التى قضاها الخطيب فى كابول كوزير وسفير ثورة احساس عارمة شعرية لم تقيده الوظيفة بأغلالها فتجلت طاقته الفنية وجال قلمه جولات رائعة وتدفق من

خلالها شعره الحى ومضى فى خضمه حتى شواطىء المعرفة والمثالية ..

فقد عكف الخطيب على مطالعة الآداب الأوربية عامة والأدبين الرومانى والانجليزى خاصة حتى حفظ الكثير من شعر شكسبير فطعم شعره بكثير من المعانى المقتبسة من الغرب ووضعها فى أسلوب جزل وعبارة بليغة بحيث غدا الأسلوب والمعنى سائرين جنبا الى جنب .

وأصبحت لديه الجرأة فى التعبير والموهبة القادرة على تصوير المعانى المبتكرة وعلى الأخص فى شعره الوجدانى الرائع .

ولكن .. هل نسى الشاعر وطنه الثانى وهو يعيش فى كابول ؟

كلا . لقد ظل وفيا لأرض الحجاز يتحرق شوقا الى اهلها وكيف ينسى أرض الحجاز وهو القائل فى قصيدته « الحنين الى الحجاز » :

مهلا على فانى موجع دنف
وان لوعة نفسى فوق ما أصف

فياربوع الحجاز النفس فى ظمأ
اليك يصرخ من أعماقها اللهف

انى لطوعك فى الحالين ما انحرفت
حالى ولاهى حتى الموت تنحرف

ونحن أرسخ أهل الأرض آصرة
والشمل مفترق والشمل مؤتلف

أصبحت بعدك حتى الحزن يحزن لى
أنا الأسيف الذى يرثى له الأسف

ليت السطور أحست روح كاتبهــــا
وهل يحس بقدر اللؤلؤ الصــدف
وما أحبك أرضا كم حلــــلت بهــــا
تقبــل الأرض قبلى الأدمع الذرف
ان الحجاز دعــــاه اللـــــه لى وطن
فيه الهوى والجوى والوجد والشغف

★★★★★

أجل ، لم ينس الشاعر وطنه الثانى فقد امتلأ ديوانــه بوصفه وهو هنا يذكر مدينة الطائف ورياضها الغناء وما سلف فى صدر شبابه من مرح وغبطة حين يقــول فى قصيدتـــه « الطائف » :

أنا فى الطــائف أستوحى الشــعور
ان فى الطائف بعثا ونشــــــور
فلقــــد حــــدثنى رمانهـــــا
أنه كان نهـــودا فى الصـــدور
وروى لى البــــان عن أعطافــــه
أنه كان قـــدودا وخصــــور
نثرت فى أرضها حصباؤهــــا
دررا تنجم منهـــا وشــــذور
ومشى الجـــدول فى أرجائهـــا
كوثرا يسبح فيهـــا ويمـــور
جلس الزهر صفوفــــا حوله
وهو كالراح على الشرب يـــدور

كلما استضحكت عن لؤلـؤة
هتفت فى فنن الأيك الطيـور

قل لمن ألهمهـا تسبيحها
هكذا الجنة والعبد الشكور

وأبى العـوسج الا فتنـة
فزوى الشوك بألـواء الصخـور

يرصد الغفلـة أن يعلـق بى
علق الفاجـر بالعف الوقـور

طبعه الوخـز اذا استشهدتـه
قبـح العوسج من شاهـد زور

كم نفضنا الصدر من كـل أسى
ونسينا الصـد والجـد العثور

وقضينا اليوم فى ظـل الهـوى
ليت ذاك اليوم قد طـال شهـور

★★★★★

وأترك لك بعد ذلك أيها القارىء الـكريم أن تهمس برأيك فى القصيدة السابقة ٠

ولكن ٠٠ وقد عاش الشاعر وفيا لأرض الحجاز فهـل نسى أهلها وهم قد غدوا أهله ، وكيف ينسى وقد تكفل نفر منهم بشرح ألفاظ الديوان وتكلف مشقة جمعه لكى يخرج من الظلمة الى النور ٠٠ وتكرمت الأسرة المالكة بما حباهـا الله عز وجل من عظيم الخلق فأخذت بيد الشاعر وشدت من أزره :

ومن كـآل سعـود فى منـاقبهم
اذا تبجح بالألقـاب مفتخر

الذائدين عن الاسلام تدفعهم
حمية عرفتها الكتب والسير

وشاعرنا الراحل فى أغلب قصائده يعرض لما يسنح فى الخاطر أو ما يرسم فى العين من شتى الصور ومن ألوان الخيال ، يعرضها فى طلاقة ٠

انه شعر ينبع من شخصية ناضجة وانسانية رقيقة ٠

ففى قصيدته «القصر البالى» وهى تذكرنا بشاعر فرنسا الرقيق « لامارتين » حين وقف أمام دار أسرته ينعاها ويرثى من كان يسكنها كما وقف الخطيب يتساءل أين ذهب أهل هذا القصر :

أياقصر قل لى أين أهلك ؟ ما الذى
عراهم ، أما من هاتف فيك ذى خبر

ألم تكن الأيام تجرى بأمرهم
فاما الى يسر واما الى عسر

أأنت هو الصرح الذى كان راسخا
تزعزع حتى انك صخرا على صخر

أتلك هى الدنيا ؟ أهذا مآلها
لعمرك ان العالمين لفى خسر

وأما فى قصيدة « وقفة فى سلع » وهى مدينة فى الأردن منحوتة بأسرها فى الصخور واسمها القديم « بطره » فقد وقف الشاعر أمام هذه الأطلال يستخرج منها العبرة والحكمة بفلسفته :

واد تحف به الشوامخ ممعن
فى السفح أربد قالص السربال

يندس آونـــة ويســـنح تـــارة
خلف الوهاد ومن وراء جبـــال

متحـــرج يلتف غـير معـــرج
ويجول حين يهيم كل مجـــال

كالخائف أنتهز الفرار تســـللا
فمشى الضراء ولج في الايغـــال

بلد كأن يدا دحته فخـــر من
قلل الجبال ممزق الأوصــــال

فهنا الصخور على الصخور تحطمت
وهنـــاك منه حقيقة كخيـــال

موت تلوت بـــه الحياة وموقف
خشعت لديه طوارق الأهـــوال

تمضي القرون على القرون كأنهـا
وقد انحدرن اليه بضع ليـــال

فانظر الى الأمصار كيف تنكـــرت
والى القضاء يصول كل مصـــال

والى الأنـــام تلفهم أكفـــانهم
بعد الجهاد ونضرة الآمـــال

وأفــزع الى الملــك المهيمن فــوقهم
فالعــلم مــل تنطس الجهـــال

★★★★★

فلننظر ولنستوعب جمـــال هـــذا البيت وأداءه الفني الرائع :

بلد كأن يدا دحتـــه فخـــر من
قلل الجبال ممزق الأوصـــــال

ولنتمعن فى هذا التآلف اللفظي والتبـــاين الزمنى فى البيت التالى :

تمضى القرون على القرون كأنهـا
وقد انحدرن اليه بضع ليـــال

فما من شك فى أن الأداء الفنى فى شعر الشاعر فـؤاد الخطيب يتمثل فى قدرته على الصياغـــة وعلى مـوهبته الأصيلة وايمانه بالحقائق التى يضمنها شعره ٠

ان هناك عوامل عديدة فى الديوان غرست فيه العناصر الجمالية بمفهومتها الفنية ، هناك مثلا الحرية لا فى الأسلوب بل فى التفكير ، الأمر الذى مكن الشاعر من الانطلاق فى تجاريبه فى أمانة وصدق ٠

ولنعط مثلا على ذلك فى بعض أبيات من قصيدته «عبث الخليع » وقد ظفر بكل النواحى الجمالية ٠

وسواء وصف الشاعر فيها بعض الخلعاء وأراد أن يذكر شيئا من ألوان وجدهم وحوارهم أم هى فعلا تجربة ذاتية ٠

فانها على أية حال قد استطاع بها الشاعر وبغيرها أن يعطينا ناحية من النواحى الجمالية فى شعره ٠

يقول على لسان الحبيبة بعد سماعها غزله :

قالت : اليك ٠٠ فشـد ما ذكرتنى
بك يوم كنت تصـول فى الميـدان
فعضضت من شـــفتى لم تفـلتهما
حتى استجرتك فامتصصت لســانى

وحللت من شعرى القصاص فرفرفت
خصل على من القصاص حسوان

وكتبت بالقبل التى قد حددت
خدى أنك كنت أقطع جسان

هى لا تعد ولا تحد وكم مضت
لك قبلة وكأنها مثتسان

لا من النواحى الجمالية أيضا فى الديوان ذلك التلاعب بالألفاظ بحيث يلتقى النفور بالانسجام والتباعد بالتقارب فى نظام حركى متآلف ، مثال ذلك فى نفس القصيدة :

من ذا الذى بالحور يكفر بعدما
شهد الذى هو فيك من برهان

ما انفك يعوزه اليقين مجسما
حتى هربت اليه من رضوان

أنا ان فعلت فان أربع أرجل
لأحق بى فى المشى لا رجلان

وفيها أيضا تلك التشبيهات المبتكرة الرائعة التصوير مثال ذلك :

أنا لست أوجس من دلالك خشية
هو طاعة فى صورة العصيان

كالقوس تبدى الصد اذ هى تنحنى
للسهم قد ضمته ضم حنان

ومن العناصر الجمالية أيضا هذه الفلسفة المغلفة بالدعابة الساخرة :

وتبسمت من عاشق متفلسف

ملك البيان فبذ كل بيان

بنتان علمتاه أبلغ حكمة

بنت مهفهفة وبنت الحان

فاعجب لأستاذين يقبس منهما

ما شاء من أدب ومن عرفان

وفى الديوان نماذج عديدة من هذه التشبيهات البالغة الدقة فى قوتها التعبيرية مثال ذلك وهو يتكلم عن « الشعرة البيضاء » :

انظر الى الشعرة البيضاء ان لها

معنى الهزيمة والتسليم للزمن

كأنها الراية البيضاء يرفعها

فى الحرب من لم يطق صبرا على المحن

ويقول فى وصف الهوى :

والنار يفضحها انبعاث دخانها

كالصب حين يصعد الزفرات

يبكى ويضحك فى الظلام كشمعة

تذرى الدموع وترسل البسمات

ويصف لغة العيون العاشقة فيقول :

لغة ولا لفظ وما لبيانها

للناس فى كل اللغات بيان

ياويح لى من ذلك الجسد الذى

غلب المروق عليه والعصيان

حى فطرة « الحيوان » فيه وما ارعوى
مما يضر ويطلب الحيـــــوان

فســـألت نفسى أين يا نفس الـــذى
هو فيك يوصف أنه الانســـان

★★★★★

لله درك أيها الشاعر الكبير ، طيب الله ثراك ، ياشاعر الفكرة الملهمة والرسالة الأمينة ·

أبدا لم تأسرك القوافى ولا الأوزان ، بل مضيت كقطـــار سريع يحمل أطنانا من الأثقال فى خفة عصـــفور يحلق فى اللا نهائى الرحيب ·

لقد كنت صادقا فى قولك حين قدمت لنا شعرك فى مطلع ديوانك :

« ان هذه المجموعة الشعرية صدرت فى بردها القشيب تثلج صدر الأديب لما انطوت عليه من البيان العربى الجــزل والديباجة الأدبية المحكمة يؤدى بهما الفكر الجديد من حكمة وفلسفة ومن وصف وغزل ، ومن خطير القضايا القومية وفى الطليعة « قضية فلسطين » ·

« تم الكتاب بحمد الله »

فهـــرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٨٩/٧١١٥

ISBN — ٩٧٧ — ٠١ — ٢٢٣١ — ٩

هـذا هو الجـزء الثانى من كتـاب «وقفة مـع الشعر والشعراء» ويتناول أعمال مجموعة من الشعراء هم :

أحمد هيكل ، والعـوضى الوكيـل ، وفتحى سعيد ، ويوسف عز الدين ، ومختار الوكيل ، وطاهر زمخشرى ، وعبـده بـدوى ، وسعيـد ظـلام ، ومحمـد عبـد المنعم خفاجى ، وكمال النجمى ، وعبد العزيز شرف ، ومحمد عبد الرحمن ، وفؤاد الخطيب ، وشوقى على هيكل .

وفى هذه الدراسة تقدم الكاتبة معايشة كاملة لشعـر هؤلاء الشعراء متلمسة أعماق مشاعرهم وسياحاتهم بين عالم الواقع وعالم الخيال .

٣١٠ قروش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب